

أبو منصور الثعالبي

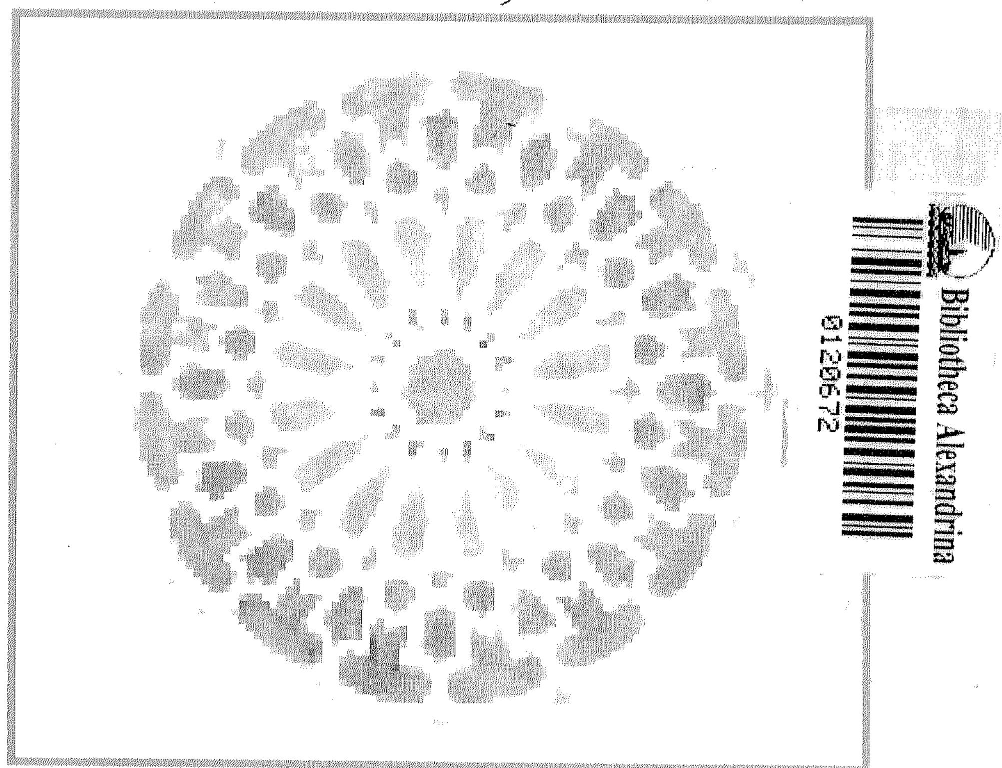
(٣٥٠ - ٤٢٩ هـ - ٩٦١ - ١٠٣٨م)

تحقيق ودراسة

الدكتور سعد أبو دية

أستاذ مشارك / جامعة اليرموك

إربد - الأردن



دار البشير



تحفة الوزراء

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٣٢٠,٣٠٩
الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل،
٩٦١-١٠٣٨م
تحفة الوزراء / أبو منصور الثعالبي، تحقيق
سعد أبو ديه. ـ عمان : دار البشير، ١٩٩٣
(١١٦)ص
ر.أ(١٢١١ / ١١ / ١٩٩٣)
١ ـ الحكومات ـ أنظمة أ ـ سعد أبو ديه، محقق ب ـ العنوان

(تمت الفهرسة من قبل المكتبة الوطنية)

دار البشير
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف : (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس : (٦٥٩٨٩٣) / تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان ـ الأردن

Dar Al-bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

تحفة الوزراء

أبو منصور الثعالبي

(٣٥٠ - ٤٢٩ هـ - ٩٦١ - ١٠٣٨ م)

تحقيق ودراسة

الدكتور سعد أبو دية

أستاذ مشارك / جامعة اليرموك

إربد - الأردن

دار البشير

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى ابنتي رزان

شكـــر

أشكر الأخ الفاضل عادل مرشد الذي تولى تدقيق
هذا النص وضبطه وخرّج أحاديثه

[المحقق]

مقدمة المحقق

ليس هناك كتاب واحد يتحدث عن الوزارة والوزراء بشكل متخصص. لقد لفت انتباهي وأنا أدرس مادة الفكر السياسي الإسلامي أن الحديث عن شؤون الوزارة والوزراء هو حديث متكرر في كتابات المؤلفين عن الخلافة ونظام الحكم في الإسلام. ولذلك وعندما وقع بين يدي مخطوط تحفة الوزراء فإنني باشرت على الفور ومنذ أن فرغت من قراءته، بنسخ هذا المخطوط تمهيداً لتحقيقه.

صحيح أنني وجدت متعة كبيرة جداً في قراءة مواد المخطوط بيد أن عانيت الكثير منذ عام ١٩٨٩م في مراجعة مواد هذا المخطوط وتوضيح بعض الكلمات أو التأكد منها. ولقد أعاد تحقيق هذا المخطوط إلى ذهني مقولة الرحالة الإنجليزي الشهير (ليفنغستون) الذي قطع إفريقيا من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق فهو يقول بأن من الأسهل عليه العودة إلى قطع قارة إفريقيا من أن يخوض في كتابة كتاب واحد للعناء الذي يكابده الكاتب في هذا الخصوص.

وعلى أية حال فإنني سعيد بوجود هذا المخطوط بين أيدي القراء. فهو متخصص في موضوعه يجمع بين الأدب والعلم. وبشكل عام يركز الكتاب على الوزراء والوزارات وما يمت إلى شؤون الوزارة بصلة. لقد أشبع الكاتب أمور الوزارة بحثاً وتفصيلاً فهو تحدث عن:

- أصل الوزارة ومعناها واشتقاقها.
- صفات الوزير الصالح.

- مكانة الوزراء عند العرب والفرس والهنود.
- عادات الملوك في الاستيزار.
- فضائل الوزارة ومنافعها.
- تجارب الأمم الأخرى كاليونانيين والفرس.
- آداب الوزارة وحقوقها ولوازمها وحق الملك على الوزير.
- لطائف جرت بين الملوك والوزراء.

شرائط الوزارة.

- أقسام الوزارة ورسومها.
- الخصال التي يجب أن تجتمع في الوزير.
- أنواع الوزارة.
- كفاة الوزراء ونكت ألفاظهم ومدائحهم وعفوهم.
- المشورة.

*** أهمية هذا المخطوط:**

تميز هذا المخطوط بأنه ركز على الوزارة والوزراء وأنه يسد فراغاً كبيراً في هذا الشأن. ولقد كان الثعالبي أكثر تركيزاً على شؤون الوزارة من غيره من الكتاب الذين كتبوا عن هذا الموضوع بشكل عام من خلال الكتابة عن نظام الحكم أو الإدارة في الإسلام.

لقد سبق الثعالبي غيره من الكتّاب في الحديث بهذه الشمولية عن موضوع الوزارة والوزراء وعلى سبيل المثال فإنه سبق أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الذي كتب كتابين بعنوان:

١- آداب الوزير (القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٢٩).

٢- قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقّيق رضوان السيد ومنشورات دار

الطليعة ببيروت، ١٩٧٩).

ولقد كتب الأستاذ عبد الستار أحمد فراج قائمة بأسماء من كتب في الموضوع في مقدمة تحقيقه لكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي ت ٤٨٨هـ.

ويجدر بي أن أشير إلى طول باع الثعالبي في الكتابة في هذا الموضوع فهو قد ترك تراثاً فكرياً ضخماً (انظر سيرة حياته في مقدمة تحقيق المخطوط) وليس بغريب أن يصفه ابن خلكان نقلاً عن ابن بسام بأن الثعالبي كان على رأس المؤلفين في زمانه إذ يقول:

[كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب، تواليفه أشهر مواضع، وأبهى مطالع أكثر من أن يستوفيها حد أو وصف أو يوفى حقوقها نثر أو رصف].(١)

ولقد وصفه تلميذه علي بن الحسن الباخرزي صاحب دمية القصر وقال فيه: [جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور ولم تر العيون مثله ولا أنكرت الأعيان فضله]، ووصف شعره بأنه صافي الديباجه لطيف التخيل(*).

محتويات المخطوط والملاحظات عليها:

عرض المؤلف أفكاره في خمسة أبواب بطريقة طريفة جداً:

الباب الأول: بحث في أصل الوزارة ومعناها واشتقاقها وصفات الوزير

---

(١) ابن خلكان ١: ٢٩١.

وانظر كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم [القاهرة: دار المعارف ١٩٨٥].

الصالح، ومكانة الوزراء عند العرب والفرس، وتطرق لعادات الملوك في الاستيزار. وهذا الباب يتألف من ثلاثة فصول موزعة على هذا النحو:

الفصل الأول: في أصل الوزارة واشتقاقها.

الفصل الأول: في الوزير الصالح.

الفصل الثالث: فيما يوجبه حكم الساسة من الاقتصار على وزير صالح.

الباب الثاني: هذا الباب قصير جداً فهو لا يتجاوز ثلاث صفحات تحدث فيها عن فضائل الوزارة ومنافعها وآراء مختلفة عن منزلة الوزير عند الحاكم.

الباب الثالث: يتألف هذا الباب من أربعة فصول ومقدمة عن آدابها وحقوقها ولوازمها والفصول هي:

١ـ فصل لعمرو بن مسعدة في وصف أمير (وضعه المؤلف كفصل ثاني.

٢ـ فصل في حق الملك على الوزير وحق الوزير على الملك.

٣ـ فصل في حقوق الوزراء على الملك.

٤ـ فصل يشتمل على نبذ مما جرى من لطائف جرت بين الملوك والوزراء.

الباب الرابع: يتألف من تسعة فصول هي:

١ـ أقسامها ورسومها.

٢ـ فصل في الخصال التي يجب أن تجتمع في الوزير مع ما تقدم وصفه من الشرائط والآداب.

٣ـ فصل في الفرق بين هاتين الوزارتين.

٤ـ فصل في ذكر رسوم وزارة التقييد.
٥ـ فصل في ذكر المشورة.
٦ـ فصل في وصف ما ينبغي أن يستشار ومن لا يستشار.
٧ـ فصل في كتمان الأسرار وكيفية المشورة.
٨ـ فصل في احتياج الملك لمعونة الوزراء.
٩ـ فصل في وجوب النصح بالاستشارة.
وهذا الباب من أكبر أبواب المخطوط.

الباب الخامس: ويتضمن هذا الباب:
١ـ فصل في الكفاة.
٢ـ فصل يشتمل على نبذ من نكت لطائف الوزراء ومحاسن ألفاظهم.
٣ـ فصل من كتاب آخر.
٤ـ فصل في العفو وما يجري مجراه.
٥ـ فصل لابن ثوابة.
٦ـ فصل في استعطافات الملوك والوزراء وطلب العفو والرضى.
٧ـ فصل في مدائح بعض الوزراء.

ويلاحظ أن أبواب المخطوط غير متوازنة في حجم المادة فهي قصيرة جداً أحياناً على نحو يلاحظ في الباب الثاني، كان بإمكان المؤلف أن يعيد ترتيب المادة وأن يجمع في الفصل الأول في أصل الوزارة ومعناها واشتقاقها وأقسامها وأنواعها وأن يجمع في الفصل الثاني مكانة الوزراء عند العرب والفرس والهنود وتجارب الأمم الأخرى كاليونانيين والفرس، وفي باب آخر يجمع صفات الوزير الصالح والخصال التي يجب أن تجتمع في الوزير مع شرائط الوزارة وآدابها وحقوقها ولوازمها وحق الملك على الوزير ولطائف جرت بين الملوك والوزراء

وكفاة الوزراء، ونكت ألفاظهم وفضائل الوزارة وتجارب الأمم الأخرى والمشورة. .

ولو أخذ الكاتب هذه الناحية بعين الاعتبار فإن ذلك يكون من الأسهل على القارىء بدلاً من أن يتشتت تفكيره على النحو الذي نلاحظه في هذا المخطوط.

ومع كل ذلك فإن هذا المخطوط فريد في بابه وأنه لو أخذ مكانه في المكتبة العربية لكان كتاباً آخر في المكتبة وأفضل من كتاب (نيقولا مكيافلي) عن الأمير لسبب يرتبط بأخلاقيات هذا الكتاب التي لا تتوفر في كتاب الأمير عند مكيافلي الذي أراد أن يفتح الطريق أمام شيرازي بورجيا في توحيد إيطاليا وحكمها.

شكل هذا المخطوط:

هناك نسخة من هذا المخطوط محفوظة بدار الكتب المصرية ورقم الفيلم ١٨٨، أما رقم المخطوط فيها فهو ٥ نحو ش منسوخ ١٣٠٠ وعدد الأوراق ٤٤ قياس ٢٨ × ١٨سم. هناك نسخة (مايكروفيلم) من هذا المخطوط محفوظة في مركز الوثائق في الجامعة الأردنية رقم ١٣٢٤.

ويحتفظ الباحث بنسخة عن هذا المخطوط.

كُتب هذا المخطوط بالخط النسخي والأصل مقروء ومقابل، ولقد أثبت المؤلف على الهامش تصحيحات قليلة لا تذكر. وبداية المخطوط (بسم الله. . . والحمد لله فإني حين خدمت مولانا ملك الزمان . . . إلخ، والنهاية أُطرى وأُطرب بالأشعار انشئها. . .) إلى آخر الصفحة.

منهج الدراسة :

كنت اؤثـر أن أعيد ترتيب المخطوط على النحو الذي ذكرته في ترتيب الأبواب ولكن خشيت أن أفقد المخطوط شكله الأصلي الذي كتب عليه . لقد بدأت بمـراجعـة للمخـطوط عام ١٩٨٩م، وكنت على صلة شبه يومية بهذا المخطوط بعلمه وأدبه . وكنت أقارن بين ما ورد في هذا المخطوط وبين كتب التراث وكتب الثعالبي نفسها .

ولقد رجعت إلى المصادر التي استسقى منها المؤلف مادته سواء ما تعلق منها بالأمثال أو الشعر . ولقد خرّجت الآيات القرآنية الكريمة كما وردت في موضعها في القرآن الكريم فأشرت إلى رقم الآية والسورة التي وردت فيها .

كمـا خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة وعرفت بأسماء الأعلام، وقمت بشرح الغامض من المعاني .

وفي بداية كل باب أعددت محتويات للباب ولقد رتبت مادة الكتاب كما وردت للمحـافـظة على تسلسـل المـوضـوع كمـا ورد على لسان المؤلف . وبـالإضـافـة إلى ما تقـدم فإنني قد استعنت واستشـرت كثيرين من ذوي الاختصاص حول أفكار الكتاب .

الدكتور سعد أبو دية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مبتدع الاشياء بمتقن فطرته، ومودعها لطائف حكمته، ومصرف
الاقدار على مشيئته، ومدبرها بتقديره، خلق خلقه اطوارا واخيافا، ورتبهم
منازل واصنافا، وجعل بعضهم لبعض سخريا، وفضلهم في الرزق فكانوا اغنيا
وفقراء، وارضى كلا بما قسم فشكروا اليه متبوعا وتبعا، وشرع لهم في ديانة
سياسة امرهم باتباعه شرعا، حتى دانت الرعية لملوكها وعقدائها
وقادتها، واعطت طوعا وكرها ذليل مقادتها، فانتظم بذلك فيهم التدبير
وجرى عليهم حكم القضاء بحتمه. احمده على ما ابطن من نعمه
وظهر، واشكره على ما اعلن من مواهبه واسر، حمد راض بما منح من فضله
ويسر، شاكر النا عم من جوده ونشره، واستمده صدق البصيرة فيما ادبنا
به من الامتثال والحكمة وحسن السيرة فيما الزمنا به من طاعة الولاة
والائمة، واسأله الصلاة على سيد خير البشر، وخاتم الانبيا والنذر،
اقام في امته مبشرا ونذيرا، وداحضا كيد الكفر له وظهيرا، ومجاهدا
في دينه مستمرا، واوجب عليهم استخلاف قائم من بعده احتياطا لهم
ونظرا، وجمع بذلك امرهم فلم يجعلهم هملا ولا نشرا، وعلى آله واصحابه
الذين ظفروا برشد الحكم وصوابه. وبعد فاني متى عرفت مولانا
ملك الزمان، وفريد العصر والاوان، خوارزم شاه ثبت الله ملكه وجعل
الدنيا كلها ملكه، بالكتاب المسمى بالملوكي خطر لي ان اخدم وزيره الاعظم
وسفيره الافخم، ابا عبد الله الحمدوني بهذا الكتاب في سياسة الوزراء وان كان
مقامه الشريف مستغنيا عن ذلك لسلوكه تلك المسالك، وانما قصدت
به استجداء مواهبه الجسام، ومكارمه العظام، وسميته بتحفة
الوزراء وقد رتبته على خمسة ابواب الباب الاول في اصل الوزارة
واشتقاقها الباب الثاني في فضائلها ومنافعها الباب
الثالث في اداتها وشروطها ولوازمها الباب الرابع في اقسامها

مخطوط محفوظ لدى دار الكتب المصرية
رقم الفيلم ١٨٨
رقم المخطوط فيها ٥ نحوش منسوخ ١٣٠٠
عدد الأوراق ٤٤ قياس ٢٨ × ١٨سم
رقمه في الجامعة الأردنية ١٣٢٤ ٦٠٣١٣، ٣٥٤

هٰذا كتاب «تُحفَة الوُزراءِ»

للشيخ الإمـام الهمـام العلامة خاتمة المحققين أبي منصور الثعالبي[٢] رحمه الله تعالى ورضي عنه أمين.

---

(٢) المؤلف أبو منصور الثعالبي (٩٦١-١٠٣٨م ٣٥٠-٤٢٩هـ) هو عبدالملك بن محمد بن إسمـاعيل أبو منصور الثعالبي، وهو من أهالي نيسابور. اشتغل بالأدب والتاريخ، فأصبـح من الأئمـة في الآداب واللغة، وصنف كثيراً من الكتب ومن كتبه المطبوعة: (يتيمـة الـدهـر ٤ أجـزاء، اللطائف والـظرائف، فقه اللغة، يواقيت المواقيت، سحر البلاغة، المنتحل، لطائف المعارف، المبهج، غرر أخبار الفرس، برد الأكباد، من غاب عنه المطرب، الأمثال، مما جرى بين المتنبي وسيف الدولة، خاص الخاص، نثر النـظم وحـل العقـد، مكـارم الأخـلاق، ثمـار القلوب في المضاف والمنسوب، سر الأدب، الكناية والتعريض «النهاية في الكناية» المؤنس الوحيد، مرآة المروات، أحسن ما سمعت).

ومن المخـطوطـات: (تحفـة الـوزراء، غرر البـلاغـة، أحسن المحاسن، الغلمان، التجنيس، طبقـات الملوك، المتشـابـه «رسـالـة»، التمثيل والمحـاضـرة، الشكـوى والعتاب، المقصور والممدود).
=

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وبه نَستعينُ.

الحمدُ لله مبتدع الأشياءِ بمتقَن فطرته ومُودعها لطائفَ حِكمتهِ، ومصرِّفِ الأقـدارِ على مشيئتهِ، ومدبِّرها بقُدْرَتهِ، خَلَق خلقه أغياراً وأخيافاً[٣]. ورتَّبهم منازلَ وأصنافاً. وجعل بعضهم لبعضٍ سُخْرِيّاً. وفضَّلهم في الرزق، فكانوا فقيراً وغنياً، وأرضى كلاًّ بما قَسَم، فسكَنُوا إليه متبوعاً وتَبَعاً. وشَرَعَ لهم في دينه سياسـةَ أمـرهم باتبـاعه شرعاً، حتى دانَتِ الرعيةُ لملوكها ووزرائها وقادتها، وأعـطت طَوْعـاً وكَرْهاً ذليلَ مَقادتها. فانتظم بذلك فيهم التدبير وتَم، وجرى عليهم حكم القضاءِ فحَتَم.

أحْمَدُه على ما بَطَنَ من نعمه وظهر، وأشكر له على ما أعلن من مواهبه وأسر. حمدَ راضٍ بما منح من فضله ويَسَّر، شاكراً لما عَمَّ من جوده ونشر، وأستمدُّ منه صدق البصيرة فيما أدَّبنا به من الأمثال والحكمة، وحُسْنَ السريرة فيمـا ألزمنا به من طاعة الولاة والأئمة، وأسأله الصلاة على نبيِّه خيرِ البشر، وخاتَم الأنبياء والنُّذُر. أقام في أمته سائساً ومدبِّراً وداحضاً كيدَ الكفر له ومدمراً، ومجاهداً في دينه مستمرّاً، وأوجب عليهم استخلاف قائمٍ من بعده احتياطاً لهم ونَـظَراً، وجمـع بذلـك أمـرهم فلم يجعلهم هَمَـلاً ولاَ نَشَراً، وعلى آله وأصحابه الناطقين برشد الحكم وصوابه.

= انظر:

خير الـدين الـزركلي، الأعـلام، قامـوس تراجم لأشهـر الـرجـال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (بيروت ١٩٦٩) ج٤، ص ٣١١.

(٣) أخيافاً: من الخَيَف، والخيف: أن تكون إحدى العينين من الفرس زرقاء، والأخرى كحلاء، ويقال: الناس أخياف، أي: مختلفون «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس ٢/٢٣٤.

وبعـد: فإني حين خدمتُ مولانـا ملك الـزمان، وفريد العصر والأوان، خُوارَزْم شاه[٤] - ثَبَّتَ الله مُلْكَه، وجعل الدنيا كلها ملكه - بالكتاب المُسمَّى بالمُلُوكِيِّ، خَطَر لي أن أخـدُمَ وزيره الأعـظم، وسفيره الأفخم، أبا عبدالله الحَمْدُوني[٥] بهذا الكتاب في سياسة الوزراء، وإن كان مَقامُه الشريف مستغنياً عن ذلك. لسلوكه تلك المسالك، وإنما قصدتُ به استجداءَ مواهبه الجِسام، ومكارمه العظام، وسمَّيته بتُحْفَةِ الوُزَراء، وقد رتبته على خمسة أبواب[٦]:

الباب الأول: في أصل الوزارة واشتقاقها.

الباب الثاني: في فضائلها ومنافعها.

الباب الثالث: في آدابها وحقوقها ولوازمها.

الباب الرابع: في أقسامها ورسومها.

الباب الخامس: في ذكر كُفاتِهم ونكت ألفاظهم وعفوهم ومدائحهم.

---

(٤) ورد ذكره في كتاب الثعالبي، نثر النظم وحل العقد (بيروت: دار الرائد العربي ١٩٨٣) ص٢.
وهو أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه آخر أمراء أُسرته. انتهت بوفاته دولة المأمونيين. عرفه الثعالبي وله معه صلة ومودة.
انظر تاريخ أبو الفضل البيهقي، ص٧٣٤.

(٥) أبـو عبـدالله الحمـدوني وزير أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه والذي ذكره الثعالبي في كتب أخرى مثل نثر النظم وحل العقد، وكتاب الكناية والتعريض ويلاحظ أن الثعالبي هنا في هذا المخطوط سماه الوزير الأعظم والسفير الأفخم.

(٦) هذه المخاطبة لملك الزمان وللوزير أبو عبدالله الحمدوني، وهذا التبويب للكتاب بهذه الطريقة هو نفس أسلوب الثعالبي في باقي كتبه مما يدحض أي شك عن نسب هذا المخطوط للثعالبي.



الباب الأول

في أصل الوزارة واشتقاقها

يتألف هذا الباب من ثلاث فصول هي(*):

١ـ الفصل الأول: في أصل الوزارة واشتقاقها.

٢ـ الفصل الثاني: في الوزير الصالح

٣ـ الفصل الثالث: فيما يوجبه حكم الساسة من الاقتصار على وزير واحد.

(*) هذا المقطع من إضافة المحقق.



الباب الأول

فأقول: الباب الأول في أصل الوزارة واشتقاقها.

قال الله تعالى في محكم كتابه، حاكياً عن نبيه وكليمه موسىٰ عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي. هارونَ أَخِي. اشْدُدْ به أَزْرِي. وأَشْرِكْهُ في أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كثيراً. ونَذْكُرَكَ كثيراً. إِنَّكَ كنتَ بِنَا بَصِيراً. قالَ قد أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا موسَىٰ﴾ [طه: ٢٥-٣٦]، وهو أول من تَسَمَّى بهٰذا الاسم على ما قيل، وكان يَنُوبُ عن أخيه في كثير من أمور مُهِمَّات بني إسرائيل، ولذٰلك استخلفه عليهم حين خرج إلى الميقات.

ولم تزل ملوك الفرس واليونان والهند تتخذُ لدولها الوزراءَ، ولهم في ذٰلك أوضاعٌ وقوانينُ، ولهم فيها سماتٌ بلغاتهم.

وفي أصل اشتقاق اسم الوزارة أقوالٌ:

أحدُها: أنه من الوِزْر: وهو الثِّقْل، لأن الوزير يحملُ الثِّقْلَ عن الملك الموزور له، ومنه قولُ الله تعالى: ﴿ولٰكِنَّا حُمِّلْنا أَوزاراً من زِينَةِ القومِ﴾ [طه: ٨٧]، أي: أثقالاً من أمتعتهم وحُلِيِّهم، وقال تعالى: ﴿حتَّى تَضَعَ الحربُ أَوْزارَهَا﴾ [محمد: ٤] أي: سلاحها، وتقديره: حتى يضعَ أهلُ الحرب سلاحهم، لأن السلاح يحمله المحاربون فيُثقِلُهم حملُه.

قال الأعشى[7]:

---

(٧) «ديوانه» ص ١٤٩. ورواية البيت الثاني فيه هٰكذا:

وأعـددتُ للحـربِ أوزارَهـا　　رمـاحـاً طوالاً وخـيلاً ذُكُـورا
ومِنْ نَسْـجِ داودَ يُحـدَى بهـا　　على أثَـرِ الـحـيِّ عيراً فَعِـيرا

وقيل: إنه مشتقٌّ من الإعانة، لأن الوزير يُعِينُ الملكَ على ما هو بصدده من أعباء السياسة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لي وزيراً من أهْلِي هارونَ أخِي اشْـدُدْ به أَزْرِي﴾ [طـه: ٢٩-٣١]، أشْتَدُّ بمعونته ومساعدته، وقال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

وقـولـه: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَه﴾ [الفتح: ٢٩]، ومعنى «شطأه» صِغارَه التي تنبت حولَ أُصوله، وقوله: «آزره» أعانه بصغاره وفراخِه.

وقيل: هو فارسي معـرَّب، وأصله من الـزُّور، وهـو عندهم اسمٌ للشدة والقـوة، فاستُعِير وعُرِّب، والمعنى فيه: أنّه يَشُدُّ من صاحب الدولة ويقويه، ويعينه على ما هو بصدده.

والأظهر أنه من المساعدة والإعانة، هٰذا قد روي عن عائشة، عن النبي ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً ـ أو قال: بالأمير خيراً ـ جَعَلَ له وزيرَ صِدْقٍ، إنْ ذَكَرَ أعانه، وإن نَسِيَ ذَكَّره، وإذا أراد به غيرَ ذٰلك، جَعَلَ له وزيرَ سوءٍ؛ إن نَسِيَ لم يُذَكِّرْه، وإن ذَكَرَ لم يُعِنْه»[٨].

فأما اتخاذُ الملوكِ الوزراءَ، فلم تزل ملوك الفرس تنتخب الوزراءَ وأهلَ المشورة والتدبير، وقَلَّ ملكٌ من من عظماء ملوكهم، إلا وكان له ثلاثة وزراء

= ومـن نسـج داودَ مَوْضـونـةً　　تُسـاق مع الـحـيِّ عيراً فعـيرا
والموضونة: الدرع المنسوجة بعضها على بعض.

(٨) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٢٩٣٢)، والبيهقي ١٠/١١١-١١٢، وصححه ابن حبان (٤٤٩٤).

وأكثر إلى سبعة وعشرة، وكذلك ملوكُ الهند يقولون: أقلُّ ما ينبغي أن يكون للملك أربعةُ وزراءَ، وكذلك ملوكُ اليونان والنَّبط الكردانيون والروم والفِرَنْج، لم يَخْلُ ملكٌ من ملوكهم عن وزير ومشير.

وكان أنو شروان يقول: لا يستغني أعلمُ الملوك عن الوزير، ولا أجودُ السيوف عن الصِّقال، ولا أكرمُ الدواب عن السوط، ولا أعقلُ النساء عن الزوج.

ولمكانة الوزراء من الأمراء، ومشاركتهم إيّاهم في الأمور، وتصريف أعِنَّةِ التدابير، جرى في المثل السائر على وجه الدهر: لا تَغتَرِرْ بكرامة الأمير، إذا غشّك الوزير.

وإلى هٰذا المعنى أشار أبو الفضل ابنُ العميد، وزاد فيه، حيث قال لصديق له من العلويّة كان مختصًّا برُكْنِ الدولة[٩]:

وزعمتَ أنَّكَ لستَ تفكرُ بعدَما ... عَلِقَتْ يداك بذِمَّةِ الأمراءِ
هيهاتَ لم تصدقك فكرتُك التي ... قد أوهمتكَ غنًى عن الوزراءِ
لم تُغْنِ عن أحدٍ سماءٌ لم تجدْ ... أرضاً ولا أرضٌ بغير سماءِ

وفي المزدوجة المعروفة بذات الحلل:

إذا طلبتَ نائل الأمير ... فالطُّف له من جهة الوزيرِ

وما أحسنَ قولَ أبي تمام لمحمد بن عبدالملك وزير المعتصم والواثق:

أبا جعفرٍ إنَّ الخليفة إن يكن ... لورَّادِنا بحراً فإنَّك ساحلُ

ومنه أَخَذَ يحيى بن علي بن يحيى المنجِّم[٩] قوله:

---

(٩) انظر «يتيمة الدهر» للثعالبي ٣/٢٠٣-٢٠٤.

أمــيرُ الــمــؤمــنين بحــرٌ زاخــر جوده ليس يَغْــدُوه أحــدْ
وأبــو الــنــجــم لمــن يقــصــدُه مَشــرَعٌ منــه إلــى الــبــحــر يَرِدْ

وليس للمعتضد كلام أحسن من قوله لأحمد بن الطيب السَّرْخَسِي، وقد سعى إليه بوزيره القاسم بن عبيد الله : يا سرخسيُّ لا تلعب بوزيري وظَهِيري ومن قلمه ناسِخ وشي مملكتي، وناظم عقد دولتي.

وقال لي يوماً أبو الفتح البُسْتِي الكاتب: لم أعلم إلى البارحةِ أن أبا إسحاق الصابىء أكتبُ الناس وأبلغهم، ولولا الديانةُ لقلت: أعقلهم، فإني عثرتُ على فصل من كلامه في حكمة الله تعالى في اختلاف طبقات الناس، وافتقارهم إلى الملوك والوزراء وحاجة بعضهم إلى بعض، واطِّراد العالَم بهٰذا التدبير، فكدت أُجَنُّ عليه وأُحَم من حسدي له.

فقلت: وما ذاك؟

قال: لا أُطلِعُك عليه إلا بمصانعةٍ.

فقلتُ: أمرُ الشيخ ممتثل.

فأقرأني فصلاً كنت قد مررتُ عليه، وغَفَلتُ عنه، وهو: حيث خولِفَ بين الناس كلَّ الخلاف، قد ائتلفوا كلَّ الائتلاف، فصارت لكل طبقة من طبقاتهم منزلة يقفُ عندها، وصناعة ينتحلها، فسَدُّوا الخلل، وعَدَّلوا الميل، وترافقت أيديهم، وتعاونوا على مساعيهم ومعايشهم، وتساوَوْا مع تبايُنِ تلك المنازل بهم في منزلة القصور والفاقة، ولجؤوا إلى ظلِّ المسالمة والموادعة، وذَلَّ الأخفض للأعلى طلباً لما في يده، وحَنَا الأعلى على الأسفل ضرورة إلى خدمته، واقتضى ذلك أن يكون فيهم ملوكُ تحمي الذِّمار، وسُوقة يلتئم بهم الشمل، فاستقرَّت كل فرقة بمكانها، فالملوك في الأمر والنهي والحماية والذبّ،

والـوزراءُ في التـدبير وجمـع الفَيْء، والكُتَّـاب في حفظ الـدواوين وتسـديد المكاتبات، والعمال في عمارة البلاد واستدرار الارتفاق، والجند في سدِّ الثغور وجهاد العدو. والقضاة في إقامة ميزان القسط، وتنفيذ أحكام الدين، والتجار في التجهيز والجَلَب، والعوام في المهن والحرف، ولم يزل كلٌّ منهم مستعيناً بغيره، فقيراً إلى من سواه، صعـوداً من أدنـاهم إلى أعلاهم، وانحطاطاً من أعلاهم إلى أدناهم، حتى اطَّرَدَ هٰذا العالمُ على ما هو عليه من ارتباط أبعاضه وأجـزائه، وإحكام وضعه وبنائِهِ، وهنالك بيان أن رحمة الله في هذا التقدير الحكيم، والتدبير المستقيم. نزلت على سبيل العموم، ووصلت إلى الجمهور.

وقال لي يوماً بنيسابور، وقد أخَذْنا بأطراف الأحاديث بيننا: ما أحوجَ الأمير سيف الـدولـة ـ يعني السلطان المعـظَّم يمين الـدولة وأمين الملة، أعزَّ الله أنصاره، لأنه كان إذ ذاك صاحبَ الجيش للأمير الرضيِّ نوح بن منصور رضي الله عنه، ويُلَقَّب بسيف الدولة ـ إلى وزيرٍ، كما أنشدتني لنفسِك:

كَتَب الأميرُ كتـائبـاً في المعركـهْ ... والـرأي منـه طيب داءِ المملَكَـهْ
وإذا رمى بالـظنِّ خَطْبـاً مُشكِـلًا ... أضحت ستورُ الغيب عنـه مُهَتَّكَـهْ

ومنجِّمٍ، كما أنشدتني لنفسك:

صديقٌ لنا عالمٌ بالنجومِ يحدِّثُنا بلسان المَلَكْ
ويَكتُمُ أسرارَ سلطانِهِ ولكن يَنُمُّ بسِرِّ الفَلَكْ

وقرأتُ في كتاب «الوزراء» لابن عبدوس[10]: عن موسى بن عبدالملك قال: فرَّق الفضل بن سهل عيوناً له من نصحائه في البلدان، وأمرهم أن يسألوا عن عيوبه، فعاد إليه واحد منهم، فأخبره أن وفداً وفدوا على المأمون، فلما فَصَلوا قالوا: ما رأينا مثلَ هذا الملك جلالةً وعقلاً، ولا مثل وزيره كفايةً وفضلاً، لولا أنه شابٌّ، ومن شأن الملوك أن يستوزروا المشايخ الذين اجتمعت لهم إلى العلم تجرِبةٌ، وإلى الرياسة حِنكَةٌ. فاحتجب الفضلُ ثلاثة أيام يعالج لحيته، ثم ظهر للناس وهي بيضاء.

---

(١٠) من الذين كتبوا عن الوزراء له كتاب (الكتاب والوزراء) وهو أبو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفي وعُرف بالجهشياري والثعالبي يشير إلى هذا الكتاب.

فصل في الوزير الصالح

قال النبي ﷺ: «إذا أرادَ الله بملكٍ خيراً، قَيَّضَ له وزيراً صالحاً، إن نَسِيَ ذَكَّرَه، وإن نوى خيراً أعانه، وإن أرادَ شرًّا كَفَّه».

واجتمعت الآراءُ على أنه ينبغي أن يكون وزيرُ الملك يجمع بين الأصل والفضل، والقول الفَصل والأدب الجَزْل، والرأي الثاقب والتدبير الصائب، ويَرْجِعُ إلى نفس أمَّارة بالخير، بعيدة من الشر، مداولةٍ على سُبُل البِرِّ، ويجمع أدوات السيادة، وآلات الرِّياسة، بمحبةٍ يطبق بها قلوب العامة بعد الخاصة، ويرجي أيامَه بين نصح يؤثره، وجدٍّ في مصلحة المملكة يستعمله، وجهد في التقرب إلى سلطانه يتحمَّلهُ، ويخلص على النقد والتمييز خلوصَ الذهب الإبريز، فإذا اجتمع الملك الفاضل، والوزير الصالح الناصح، فاعلم بأن المملكة تكون ساكنة هادية، وأحوالها وأعمالها على النظام جارية، والرسوم الجميلة راتبة، وطرق التجارات آمنة، والأسعار منحطَّة، وثغور الخير مبتسمة، ونفوس الرعايا في ظلال السكون وادعة، وفي رياض الأمن راتعة.

وعُمْدة الأمر في الوزارة أن يستوزروا الشريفَ المذكور، ولا يُؤهَّل لها الوضيع المجهول، كما فعل غير واحد من الملوك، فجنَوْا على ملكهم، وأراقوا دماء دولتهم، وهدموا ركن سياستهم، ومنهم عزُّ الدولة بختيارِ[11]، فإنه استوزَرَ

---

(١١) بختيار أبو منصور عز الدولة ابن معز الدولة أحمد بن بويه (٩٤٢-٩٧٨م) (٣٣١-٣٦٧هـ) كان شاعراً ومشهوراً بالقوة وشدة البأس. أصبح سلطاناً بعد أبيه. قتل =

صاحب مطبخه أبا طاهر محمد بن بقية، وكان إلى اليوم الذي خُلِعَ عليه يقدِّمُ الطعام إليه، ويحمل الغضائر بيديه، ويتَّشحُ بمناديل الغمر، ويزوِّقُ الألوان عند تقديمه إياها، كما يفعل من يتقلد المطبخ، ولما استُوزِرَ، عاد يريد الخدمة في ذلك، فنهاه بختيار، وتعجَّبَ الناس من وزارته، وقال قائلهم: من الغضارة[١٢] إلى الوزارة، ولم تكن عينه تقع إلى على من كان مثله من أصاغر الناس، فأما أكابرهم وأوساطهم، فلم يكن ممن يُكَلِّمونه، وزادت به دولة بختيار أخلاقاً وعاراً، وتضاحك الناس به قرباً وبعداً، وكان كلٌّ واحدٍ منهما في عاقبة أمرهما، سبباً لهلاكه.

= على يد ابن عمه عضد الدولة. انظر الزركلي ـ الأعلام ج٢، ص ١١.

(١٢) القصعة.

فصل فيما يوجبه حكم السياسة من الاقتصار على وزير واحد

قد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعداً من الوزراء، والجمع بينهم في زمان واحد، وذلك خَطَلٌ من الرأي، وخطأ من التدبير، وفيه خطر على المملكة، إذ لا يسع السيفين غِمدٌ، وكثرة الأيدي في الصلاح فسادٌ، وفي أمثال العامة: «من كثرة المَلاَّحين، غرقت السفينة».

وأجلُّ الأقوال وأحسنها وأصدقها، قولُ الله تعالى في مُحكَم كتابه: ﴿**لو كانَ فيهما آلِهةٌ إلاَّ الله لَفَسَدَتا**﴾ [اللأنبياء: ٢٢]، وإذا كانت الوزارة تاليةً للمُلْك، فكما لا يصلح مَلِكان في مملكة، لا يصلح وزيران في دولة.

وقد كان الخلفاء من بني العباس، على اتِّساع مُلكِهم، وانتظام الشرق والغرب في عقد سلطانهم لا يستوزرون إلا واحداً واحداً، على ما تَنطقُ به كتب أخبارهم وأخبار وزرائهم، إلى أن كانت أواخر أيام المقتدر، فمرضت الدولة، وضَعُفت السياسة، وشَغَرَت المملكةُ، وصُرِف علي بن عيسى[13] عن وزارة السلطان، على فضله وعدله وسداده وحزمه، بحامد بن العباس على تخلُّفه ونقصه، ثم لم يستَغْنَ عن عليٍّ لتقدُّمه في الكفاية، واستقلاله بما يعجزُ عنه غيرُه من أعمال الوزارة، فضُمَّ إلى حامد، وجُعِلت إليه الدواوين، فكانا يتشاركان في الوزارة، وأغلبُ الاسم لحامدٍ، وأكثر العمل لعليٍّ، حتّى قيل فيهما:

---

(١٣) الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي الحسني =

فَقَـدْتُكـم يا بني الجـاجِـدَهْ ففـي كلِّ يومٍ لكـم آبِـدَهْ
متى كان يُعـرَفُ فيمـا مضى وزيرانِ في دولـةٍ واحـدَهْ

وقال غيرُه:

أعـجـبُ من كلِّ ما تراهُ كونُ وزيرينِ في بلادِ
فذا سوادٌ بلا وزيرٍ وذا وزيرٌ بلا سوادِ

ولم يُؤتَ بالأمسِ أبـو علي سيمجـور(*)، إلا من كثـرة وزرائه، واختلافِهم في مشاورته، وإفسادِ هٰذا ما يُصلِحُه ذاك من رأيه، وخَرْقِه ما يرقَعُه الآخر من أمره، حتى صارتِ تلك الحال إلى أقبح المصاير، وانْجَلَتْ عن أسوإ العواقب. ولما تُوفِّي الصاحب أبو القاسم سَدَّ فخْرُ الدولة مكانه من الوزارة بأبي العباس أحمد ابن إبـراهيم الضَّبي، وأبي علي الحسن بن أحمـد، وجعلهما شريكين في وزارتـه، فظهَـرَ العَـوَار، واستمـرَّ العِثـار، وكان يُخاطَبُ أبو العباس بالأستاذ الرئيس، وأبو علي بالأستاذ الجليل، فقال فيهما هبة الله بن المُنَجِّم:

واللهِ واللهِ لا أَفـلحـتُـمُ أبـدا بعـدَ الـوزيرِ ابنِ عبادِ بن عبـاسِ
إن جاءَ مِنْكُمْ جليلٌ فاجلبُـوا أجَلِي أو جاءَ مِنكم رئيسٌ فاقـطَعُـوا رأسِي

= (٨٥٩-٩٤٦م) (٢٤٤-٣٣٤هـ). وزير المقتـدر ووزير القاهر عاش حياة مضطربة. توفي في بغـداد. له كتب (ديوان الـرسائل) و«معاني القرآن» أعانه عليه ابن مجاهد المقـرىء ولـه (جـامـع الدعاء) وكتاب الكتّاب وسير المملكة وسيرة الخلفاء. انظر الزركلي - الأعلام ج٥، ص ١٣٣-١٣٤.

(*) أبو علي سيمجور: أمير من أمراء دولة السامانيين.

الباب الثاني

في فضائلها ومنافعها



الباب الثاني

في فضائلها ومنافعها

قال الله تعـالى : ﴿ولَقَـدْ آتَيْنَـا موسىٰ الكتـابَ وجَعَلْنا مَعَهُ أخاه هارُونَ وَزِيراً﴾ [الفرقان : ٣٥]، خَرَج هٰذا مَخْرَجَ الامتنان في جواب سؤال موسى عليه السلام : ﴿واجْعَلْ لي وزيراً من أهْلِي هارونَ أخِي اشْدُدْ به أَزْرِي و أشرِكْه في أمرِي﴾ [طه : ٢٩ـ٣٢]، فالوزيرُ مُعِينُ الملِك وظهيرُه، ومدبِّر أمره ومديرُه.

وقـد رُوي عن النبي ﷺ : «إذا أرادَ الله بالأمير خيراً، جعَـلَ له وزيراً صالحاً»، ويُروى : «وزيرَ صِدْقٍ، إن ذَكَر أعانَه، وإنْ نَسِي ذَكَّره، وإن أرادَ به سوءاً، أو قال غير ذلك جَعَل له وزيرَ سَوْءٍ، إن نسيَ لم يُذَكِّره، وإن ذكر لم يُعِنْه».

ومما قرأت في وصايا الفرس، عَهِدَ بعضُ الملوك إلى ولده، فقال : يا بنيَّ، إنك لن تصل إلى إحكام ما تريدُ من سياسة العباد، وضبط البلاد، إلا بمعونة الوزراء، فأَعِنْهم على طاعتك بحسن مباشرتك، وجميل مكافأتك، وعلى معونتك بمساعدتك لهم بما يُغْنِيهم عن غيرك.

وقال كِسرى قُباذ : الوزير من الملِك بمنزلة بصره وسمعه وقلبه ولُبِّه، لأنه مغلق الأبواب، مُتَوارٍ عن الأبصار، فيجب أن يكون محفوظاً ملحوظاً، وعليه أن يَحْفَظَ مصالح الدولة، وضوابط المملكة، لتبقى على حسن نظامها، وجمال رَوْنَقها، ويدفع عنها الآفات العارضة التي ربما أدَّت إلى فسادها، كالطبيب

الحاذق، فإنه يشتغل بحفظ الصحة ثم بمداواة ما يَعرِضُ المجسد من خَلَل.

وقال الفضل بن سهل[١٤] مثلَ الملك العادل مع ا لوزير الفاضل، كالنهر العظيم الذي مشارعُه تسهله، ومَثَلِ الملك الصالح مع الوزير الطالح، مثل النهر العذب الطيب الصافي فيه التماسيحُ، لا يَنتفع به المنتفع إلا نادراً على وَجَلٍ، وكذلك الحديقة المُونِقة فيها الأسدُ.

وقال أرسطا طاليس: قد انتخب الإسكندرُ سبعة وزراء يصحبونه في سفره، ويتكلَّفون مصالح أمره، وقال لهم: إن الملك قد أشرَكَكم في ملكه، فأديموا النعمة عليكم بنُصْحه، فارفعوا دعائم الملك، وثبتوا قواعدَه، وحَصِّنوه بالعدل، وزَيِّنوه بالفَضْل، وأَصلِحوا الخَلَل قبل أن يُعجِزَكم إصلاحُه، وانتهزوا الفرص قبل فواتها، وكيف ما كان، فأنتم شركاءُ الملك، فإن ربحتموه ربحتُم، وإن خسرتموه خسرتُم، فاعملوا لكم ولغيركم، والله موفِّقُكم.

وبهذا من الكلام الجامع للفوائد الجَمّة، والنصائح التامة.

وقرأتُ في كتاب «أخبار السّلْجُوقية»: أن السلطان مَلِكْشاه تغيّر على وزيره نِظام المُلك علي بن إسحاق[١٥]، لتقريب الأعداء، وطُول المدة، وأغراض

---

(١٤) الفضل بن سهل السرخسي (٧٧١-٨١٨م) (١٥٤-٢٠٢هـ) وزير المأمون، أسلم على يديه لأنه كان مجوسياً في الأصل. تولى الوزارة والجيش فلقب بذي الرياستين. قيل إن المأمون دس عليه من قتله وتوفي في سرخس التي ولد فيها. الزركلي - الاعلام ج٥، ص ٣٥٤.

(١٥) نظام الملك علي بن إسحق (١٠١٨ - ١٠٩٢م) (٤٠٨ - ٤٨٥هـ). هو الحسن بن علي بن إسحق الطوسي من طوس اشتغل بالأعمال السلطانية مع ألب أرسلان وكان وزيراً وعندما جاء ولده ملك شاه أصبح وزيراً وقائماً لعمله خير قيام. انظر الزركلي - ج٢، ص٢١٩.

رَديئة كان يمنعُه عنها ويَصُدُّه، فبعث إليه بخادمٍ لبيبٍ من خواصِّه يُعرَف بصَنْدَل، وقال له: اخْلُ معه، وقل له: إنك قد استوليتَ على بلادي، وتحكَّمتَ في المملكة أكثر من تحكُّمي، وقسمت البلاد والأعمال بين أولادك وأصهارك وغِلْمانك، ثم قد اتَّخذتَ من المدارس والرُّبَط والأوقاف ما يزيد على ثلث المملكة، ثم ما تُخرجُه كلَّ سنة في البِر والصِّلات حتى كأنك شريكي أو قَسِيمي لا باليسير حظي، فاقتصر عما أ نت عليه، واحتفظ بالأموال، واعزلْ أصهارك وأولادك عن البلاد، وإلا أطبقتُ دواتَك، وأبطلت تصرفاتِك، ولولا أني أرى حق شيخوختك وقديم خدمتك، لتجاوزت ذُلك إلى غيره، وفعلتُه الآن.

فلما مضى الخادمُ، وأدَّى إليه الرسالة، لم يرتع ولم ينزعج، وقال للخادم:

كما بَلَّغتني ما قال، فبَلِّغْه ما أقول: سَلِّمْ عليه، وقل له: تعلمُ أني شيخ كبير قد قاربَتْ شمسي الغروبَ، ولم يَبْقَ لي غرض في الدنيا لعِلمي بقرب مفارقتها، وقد فعلتُ في مملكة والده ومملكته من الضبط وحُسن السيرة ما يعلمه الله والناسُ.

أما الأوقاف والصدقات فعليَّ تَعَبُها، وله ذِكْرُها وأَجرها، فهٰذا إن كنا منصفين، وإن كنا ظالمين فعلينا التعب والوِزْرُ، ولأربابها النعيم والأجرِ.

وأما أهلي وغلماني، فلم أُوَلِّ منهم من وَلَّيت إلا للكفاية والغَنَاءِ، لا للقرب مني، فمن قَبُحَتْ سيرتُه، عزلتُه واستبدلت به.

وأما قولُه: كأنك شريكي في ملكي، فصَدَقَ. نعم شريكُه وجميعُ المسلمين شركاؤه، وخصوصاً جميع جنده ورعيته، فإن المالَ مالُ الله، جعله تحت يده ليصرفه إلى مصالح عباده.

وأما رفعُ دواتي، فهٰذا إليه، ولٰكنها مقترنة بعِزَّةِ تاجه، ودولة سريره، فلئن

تغيّرت حالُها، ليتغيرن ذُلك الحالُ، والله أعلم.

فلما عاد إلى السلطان عنده الرسالة، وجَمَ لذُلك، ولم يتكلّم بشيء، وتعجَّبَ الناس من صبره على ذلك، ثم سار إلى العراق، ودخل إلى بغدادَ، وخرج نظامُ الملك في أثره، فخرج عليه باطنيٌّ من المُلحِدة فقتله في العاشر من شهر رمضان، وأما السلطان، فإنه مَرِضَ ببغداد، ومات في السادس عشر من شوال، فكأن نظام الملك أنطقه الله بسِرِّ الغيب. وكان نظام الملك من نوادر الزمان، وأفراد أهل الفضل والإحسان، ولقد ساسَ أهلَ الدنيا سياسة، وخَلَّدَ الذِّكر الجميل، وادخر الأجر، وأحسن الذّخيرةَ، وكان كما وصفه أمينُ الدولة ابنُ المُوصَلايا[16] في قصيدة مطلعها:

ذراها في أزمّتها تهادىَ — وغاد بها الثّنايا والوهادا
ولما أن تفرَّدَ بالمعالي — وأدركَ مِن هُداها ما أرادا
أفاد معالَم الحمد انتظاماً — وزاد غنائمَ المجد انْتِضادا
وقَوَّم صَوْلَةَ العُدوان عدلٌ — أقامَ به من الحقِّ العِمادا
وخَصَّ مواقفَ التقوى بفعلٍ — أمات الغَيَّ واستَحْيا الرَّشادا

---

(١٦) أمين الدولة بن الموصلايا: العلاء بن الحسن بن وهب البغدادي أبو سعد (١٠٢١-١١٠٤م) (٤١٢-٤٩٧هـ) لقب بأمين الدولة وهو من كتاب العهد العباسي لفترة طويلة جداً بدأت منذ عهد القائم بأمر الله، كان نصرانياً فأسلم عندما ألزمت الذمية بلبس الغيار وهو كالزنار ونحوه.

له رسائل وتوقيعات كثيرة وله لقب آخر: منشيء دار الخلافة، انظر: الزركلي ـ الأعلام ج٥، ص٤٥.

الباب الثالث

في آدابها وحقوقها ولوازمها

يتألف هذا الباب من أربعة أقسام وفصول ومقدمة عن آدابها وحقوقها ولوازمها(*)

١- فصل لعمرو بن مسعدة في وصف أمير.

٢- فصل في حق الملك على الوزير وحق الوزير على الملك.

٣- فصل في حقوق الوزراء على الملوك.

٤- فصل يشتمل على نبذ مما جرى من لطائف جرت بين الملوك والوزراء.

(*) من إضافة المحقق.



الباب الثالث

في آدابها وحقوقها ولوازمها

ينبغي أن يُختـارَ للوزارة من اجتمعت فيه الأخـلاقُ الحميدة، والأفعال الـرشيدة، وعُـرِفَ بالآراء السديدة، وجَوْدَة التدبير، وصواب الآراء المفيدة، فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة، وإذا كان زمانُ السلم والهُدْنة، يَصْلُح أن يكون الوزيرُ حليماً ساكناً، وإذا كان زمن الفتن والحروب، يصلحُ أن يكون شجاعاً صارماً، قال بعض الفضلاء: شرائطُ الوزارة خمسة:

الأول: العدل: ليكون منصفاً في حكمه، وتَسْلَم الرعية من ظلم غيره وظلمه.

الثاني: الأمانة: ليفيَ ما عليه، ويستوفي ما لَهُ، ولا يختزِنْ لنفسه فتَسِرْ عُمَّالُه بسيرته.

الثالث: الكفاءة: وهي العلم بالأعمال الدِّيوانية والتصرفات، ووجوه تثمير الأموال والاستخراجات، فيضع الأمور في مواضعها، ويرتب الأعمال على قواعدها.

الرابع: السياسة: فيعرف مداراةَ الجند وتأليفهم، وجمعهم وتفريقهم، ويكون خبيراً بالمكايد الحربية، والخداع، وحِفْظ البلاد والثغور والقلاع.

الخامس: أن تجتمعَ فيه الخشونة واللطف، فيخْشُن على القوي حتى يُلِينَ عريكتَه، ويَلين للضعيف حتى ينال من الإنصاف بُغْيتَه، ويكون بذلك مِقْداماً

على المخاوف، جسوراً على الأهوال إن اضطُرَّ إليها، محجماً عن التقريرات إن مَنَعَ الرأيُ السديد عنها.

وقال أبو زيد البَلْخِي(١٧) في صِفَة الوزير الكامل: ينبغي أن يكون جامعاً لخِصال الخير، ومحاسن الشِّيَم، تجتمع فيه البشاشة والوقار، والحِلْم والهيبة، والإقدام والثبات، ليضع كل شيء في موضعه، هذا مع العِفَّة، والنزاهة، وعزة النفس، والعلم بصناعة الكتابة وضوابطها، وحسن العبارة والعلم بالسير والأخبار الماضية فإنها تفيد الاطلاع على التجارب والعوائد وليكن ذا هيئةٍ جميلة، وصورة مقبولة، وإن كان قد بَلَغَ اشُدَّه وبلغ أربعين سنةً، كان أحمدَ وأوفق، وأكثر حكمةً وتَجْربة.

وقال غيره: ينبغي أن يكون الوزيرُ الفاضل ذا هيئة وهيبة، يُسكِته الحلم، وينطقه العلم، له خطٌّ، وبلاغة في إيجاز وفصاحة، وتوصُّل إلى الأغراض، وتَأَتٍّ في المخاطبات، والأصلُ في ذلك الديانة والأمانة والنَّزاهة.

وقيل: أضرُّ ما على المَلِك أن يكون وزراؤه ونوابه يُجيدون القولَ، ولا يُجِيدون العملَ، فيَرْكَنُ إلى أقوالهم، وتختلُّ المملكة بإهمالهم، أو بقبيح أعمالهم.

وقال بعض الحكماء: إذا رأيتَ الوزير يجمع المال لنفسه، فأَبْعِدْه، فلا خير فيه، لأن حُبَّ المال يغطي على العقل، ويمنعه عن مشاهدة المصالح،

(١٧) أبو زيد البلخي (٨٤٩-٩٣٤م) (٢٣٥-٣٢٢هـ) هو أحمد بن سهل البلخي، ولد وتوفي في بلخ. وهو من العلماء الأفذاذ وتعكس قائمة مؤلفاته الموجودة في كتاب الفهرست لابن النديم سعة اطلاع هذا الرجل ومنها: كتاب السياسة الصغير، كتاب السياسة الكبير، كتاب الشطرنج، فضائل بلخ، آداب السلطان والرعية، أخلاق الأمم، وينسب إليه كتاب البدء والتاريخ. انظر الزركلي ـ الاعلام ج٥، ص١٣١.

وإذا رأيتَ الوزير يحب الصِّيت والذِّكر لنفسه مع إهمال جانب الملك، فلا خيرَ فيه، فإنه قد كَفَرَ نعمة الملك، وهو السبب فيما نال من ذٰلك.

وكانت الأكاسرةُ تشترط في اتخاذ الوزير سلامةَ الحواسِّ، وسلامة الأعضاء، وجمال الصورة، مع ما سَبَقَ ذِكْرُه من العقل والرأي والهيبة والوقار، وغير ذٰلك. وإن انْضاف إلى ذٰلك أن يكون حسنَ الخط واللفظ، له علم بالمِساحَة والهندسة والحساب، وتصرُّف في الأمور السياسية والتدابير الملوكية، واطلاع على تواريخ الأمم، وتَجارب الأوائل، وكان صادق القول، عاليَ الهمة، شريف النفس، غير حَسودٍ، ولا غضوب، ولا مَلُول، ولا مُعجَب، ولا شَرِه، ولا خمير، ولا هَزولٍ، ولا غَفُول، فقد كَمُلَتْ فيه آلات الوزارة، وصَلُحَ لتدبير الممالك، ولقد أشار بعض الشعراءِ إلى بعض من نال الوزارة وهو عَرِيٌّ عن هٰذه الخلال، فقال:

لا كمالٌ لا جمالٌ لا بيانٌ لا عِبارَهْ
هٰكذا الرسمُ لَدَيكُم أين آلاتُ الوِزارَهْ

ولبعضهم في مدح الوزير أبي نصرٍ العُتْبِي[18]:

جَمَعَ الله للوزير أبي نصرٍ خِصالاً تعلو بها الأقدارُ
خَطُّه روضةٌ وألفاظه الأزْ هارُ يَضْحكنَ والمعاني ثِمارُ

---

(18) أبو النصر العتبي: محمد بن عبدالجبار العتبي من عتبة بن غزوان (١٠٣٦م - ٤٢٧هـ) من الري أصلاً نشأ في خراسان وهو مؤرخ وشاعر انتهت إليه رياسة الإنشاء في خراسان والعراق ومن مؤلفاته: لطائف الكتاب في الأدب، واليميني نسبة إلى السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين، ويعرف بتاريخ العتبي شرحه المنيني في مجلدين. الزركلي - الأعلام ج٧، ص٥٦.



فصل لعمرو بن مسعدة[19] في وصف أميرٍ

إني الْتمستُ لأموري رجلًا جامعاً لخصال الخير، ذا لطفٍ في خلائقه، واستقامة في طرائقه، قد هذَّبتَه الآدابُ ، وأحكمته التجارب، إن اؤْتُمِن على الأسـرار كَتَمَهـا، وإن قُلِّد مهمات الأمور نَهَضَ بها، يسكته الحلمُ، ويُنطقه العلمُ، تكفيه اللحـظة، وتُغنيه اللمحـة، له صَوْلَة الأمراء، وأَناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفَهْم الأدباء، يسترقُّ قلوب الرجال بحلاوةِ كلامه، ويُعجِزُ الفضلاءَ بفصاحة لسانه وحُسن بيانه، ويُودِعُ محبتَه القلوبَ بلطائف إحسانه، إن أُحسِنَ إليه شَكَر، وإن ابتُلِي بالإساءة صبر وانتظر، فهٰذا الذي يَصْلُح أن تُعقَدَ به الأمور، ويفوض إليه سياسة الجمهور.

قال أبو الفتح البُسْتي في الصاحب بن عَبَّاد[20]:

فتًى جَمَـعَ العَلْياءَ علمـاً وعِفَّـة ... وبـأسـاً وجـوداً لا يُفِـيق فُواقـا

كمـا جمـع التفـاحُ حسنـاً ونُضْـرة ... ورائـحـة محـبـوبـة ومَـذاقـا

---

(١٩) عمـرو بن مسعـدة (ـ٨٣٢م ـ ٢١٧هـ) هو عمـرو بن مسعدة بن سعد بن صول أبو الفضل الصولي من وزراء المأمون. كان كاتباً بليغاً، وتوفي في أضنة (أذنة) تركيا. انظر الزركلي ـ الاعلام ج٥، ص ٢٦٠.

(٢٠) الصاحب بن عباد (٩٣٨ـ٩٩٥م) (٣٢٦ـ٣٨٥هـ). هو إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولد في الطالقان من أعمال قزوين وتوفي في أصبهان. =

. . . .

= ومن كتبه : الوزراء والكشف عن مساويء شعر المتنبي ، وعنوان المعارف، وذكر الخلائف والأعياد، وفضائل النيروز وله شعر فيه رقة. الزركلي ـ الاعلام ج١، ص٣١٣.

فصل في حق المَلِك على الوزير
وحق الوزير على الملك

جُمْلة ما يلتـزم الـوزراء من الحقـوق لملوكهم ثلاثـة: الإخـلاص في النصيحة، وبَذْل الجهد في إقامة صحة المملكة، ودَفْع الآفات عنها.

وأما تفصيل ذٰلك، فهي حقوق متعددة: منها مستحبَّة، ومنها متأكّدة، أولها الإخلاص في النصيحة والوُدِّ، فلا يُضْمِر له غشاً، ولا يَدَّخِر عنه مالاً ولا نفساً، ولا يداجِي عليه عدواً، ولا يطوي عنه نصيحة يحتاج إلى إعلامه بها.

ومنها إظهار محاسنِه إن خَفِيَت، ونسبة أفعال الخير إليه، وستر مساويه إن ذُكِرت، وتتبع من يخالف ذٰلك حتى يُزِيلَه عنه، إما بقَمْع، أو بإحسان.

ومنها التواضعُ له، والإجلال لقدره في الحضور والغَيْبة.

وقد قيل: كلما زادك الملكُ إكراماً، فزده تواضعاً، ويتقاصر فيما يضاهيه من تجمُّل، أو تنعُّم، أو مقاومة في مسكن أو مركب أو ملبس أو حَشَم، وإذا فهم أن له غرضاً في شيء مما عنده، تركه له.

ومنها تنفيذ أوامره بعد أن يتأمَّلَها، فإن رأى خللاً سَدَّه، أو خاف مكروهاً سعى في إزالته، والأدب في ذٰلك أن يجيبَ بالسمع والطاعة، ويوقف الإمضاءَ بنوع من التعاويق، ثم يراجع الملك على خَلْوة، فإن تعذَّر، فبمكاتبة، ويوضح ما ظهر له من الرأي وما يخشاه من الخلل، ثم يعمل بما يوافقه عليه ويقرِّرُه معه.

قال أفلاطون: أول أدب الوزير وسياسته: أن يَتأمَّل أخلاق الملك، فإن كانت شديدةً، عامل الناس باللطف ولِين الجانب، وإن كانت لَيِّنةً، عاملهم بقوة وصرامة غير مُفرطَة، ليعتدل التدبير.

ويقال: إن معاوية كتب إلى زياد: ليكن بيني وبينك في سياسة الرعية شعرةٌ ممدودةٌ، إن شددتُ طرفها فأرخِها. وإن أرخيتُ طرفها فاشدُدْها، فإنَّا إن شَدَدْنا جميعاً انقطعت.

وسبب هٰذه الرسالة: أن بعض أمراء العرب نَقَمَ عليه معاويةُ، فأبعده، فسار إلى زيادٍ فقَبِلَه وأنزله، ثم خاف من إنكار معاوية عليه، فَبَعَثَ يستأذنُه في أمره، فأجابه بذٰلك الجَواب.

ومنها تعجيلُ عطاياه وأوامره، سيَّما إذا علم اعتناءَه به أو تأكيده الوصية في حقِّه، وكذلك يجب تعجيلُ ما يطلق لولاة الثُّغور والحروب والغيوج[21] والرسل، فإن هٰذه أمورٌ إن أُخِّرت عن أوقاتها، كَثُرت مضارتها، والملوك تغضبُ لِرَدِّ أوامرها، وتوقيف أُعطياتها وهباتها، إلا إذا كان الوزيرُ ممَّن قد فَهِمَ أن مراد الملك التوقُّفُ فليُمْطِل، ولا يُشعِر أحداً أنه رأي الملك، فإنه لؤم لا يُنْسَب إليه.

ومنها السعيُ في عمارة البلاد، وإصلاح خَلَلها، وتثمير الأموال والمزروعات وتحصيل آلات العِمارة، والترغيب في ذٰلك، فإن بالعمارة تَغْزُرُ الأموال، وبالأموال تَشْمَخُ الممالك، وتكثر الأعوان.

ومنها حُسن النظر في أمر الجند، فلا يُؤخِّر عنهم العطاء، ولا يُلجِئهم إلى الشغْب والغوغاء، ويَسُوسُهم بما يديم طاعتَهم، ويؤلف كلمتهم، وقد بَيَّنتُ

(٢١) الغيوج: الذين يحرسون. القاموس: ص ٢٥٩.

سياساتِ الجند في كتابي «في الحروب»، وإذا اعتدلت سياستُهم استقامت مع الملك سيرتُهم، وأُمِنَت مضرتُهم.

ومنها القيام بمصالح الملِك الخاصة في ترتيب آلاته، ودُوره ومطابخه، ونفقات غِلْمانه وحشمه ودوابِّه، فلا يكون في ذلك توقف ولا تقصير، وكذلك لا يَغْفُل عن أمر حراسة الملك وحفظه، وأن يَنْدُبَ لذلك من يوثق به، ولا يَغْفُل عنه في ليلٍ ولا نهارٍ، ولا في أوقات نومه, ويقظته وخلوته، سيما في وقت أُنسِه أو سكره، فإن ذٰلك مما يجب أن يُمْعِنَ فيه النظر، ولا يتساهل فيه.

وبلغني أن المأمون خرج في عشيةِ يومٍ من مقصورته إلى الدار المعروفة بدار العـامَّـة، فرأى الحسنَ بن سهـل جالساً فيها يَنظُر في الأعمال، وينفذ الأشغال، فسأل عنه فقيل: إنه من الصبح هنا، ولم يمضِ إلى منزله، فلما رآه الحسنُ، قام مبادراً إلى بين يديه، فقال: تعبتَ اليومَ يا أبا الفضل، فقال: لا أَعُدُّ تعباً ما كان لراحة أمير المؤمنين، وفي خدمته. فاستحسن منه الجوابَ.

وقال عبدالحميد الكاتب: أتعب قدمك فكم تعب قدم قدمك.

ومنها أن لا يعارضَه في خواصِّه وبطانته، ولا في حَرَمه وأصاغره، فإنه إليهم أمْيَل، وهم عليه أقدر، ولا يستكثر لهم العطاءَ، ولا يمطلهم في الصِّلات، فإن كان فيهم من يَشِين الملكَ تقريبُه، أو يخاف غائلته، فيتلطف في إيصال ذلك إليه على لسـان غيره، أو يُعَـرِّض به في ضمن الحكايات والإشارات، دون التبكيت والتغيير، حتى لا يتمقت إليه بإبطال أغراضه، وتنغيص مسرَّاته، فكم قد عادت هٰذه بمضرات على قائليها حيث لم يتلطفوا فيها.

فصل في حقوق الوزراء على الملوك

وأمـا ما ينبغي للملك أن يَعتمـدَ في حقـه، وهي من الحقوق السياسية المصلحة على المُلك:

فمنها أن يمكِّنَه من التصرف، ويحكمه في التدبير إن كان وزيراً مطلقاً، حتى تنفذ تصرفاته، وتستقيم سياسته.

ومنها أن يَرْفَع من قدره، وينوِّه باسمه، بما يتميَّز عن أبناء جنسه بتشريف في ملبسه ومركبه وموكبه ومجلسه، وفي تلقيبه وتكنيته على ما تجري به عادةُ اصطلاح أبناء الزمان.

ومنها أن لا يَسمَعَ فيه كلام الوُشاة والمتعرضين، فإنه مقصود ومحسود، والحَسود لا يُبقي ولا يَذَرُ، بل يجب بأن يعرض له بما بلغه عنه بما يكرهه أو لا يستصوبُه، فإن كان صحيحاً، اعتذَرَ ولم يَعُدْ، وإن كان كذباً وتمويهاً، بَرْهَنَ عن نفسه ليزول الشك فيه.

قال المتـوكل لأحمد بن أبي دُؤاد: قد رُفِعَت إليَّ سِعايات في حقِّك. فقال: لا عَجَبَ أن أُحسَدَ على مكاني من أمير المؤمنين.

وقال بعضُ حكماء الفُرس: على الملك لوزيره أربعةُ حقوق: لا يؤاخذُه بغير حق ثابت، ولا يَطمَـع في مالـه بغير خيانة، ولا يقدم عليه مَنْ هو دونه بالكفاية، ولا يمكِّنُ منه عدواً.

ومنها المَشُورة في الأمور، فهي وإن كانت مشتركةً بين العقلاء، إلا أنها بالوزراء ألزم، وسيأتي ذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فصــــل

يشتملُ على نُبَذٍ من لطائف جَرَتْ بين الملوك والوزراء

لمَّا استَخْلَف المأمون على العراق الحسنَ بن سهل، وخرج ليودِّعَه، فلما أراد الرجوع من توديعه، قال له: اذكُرْ يا أبا محمدٍ حاجة إن كانت لك. قال: نعم يا أمير المؤمنين، احفَظْ عليَّ من قلبك مالا أستطيعُ حفظَه إلا بك.

وسمعتُ الكمال بن جميل يحكي: أن الوزير عون الدين بن هُبيرة كَتَب إلى الخليفة المستنجد بالله يتودَّدُ إليه ويشكره:

أقسمتُ بالآيات والكلمات من نصِّ الكتاب
وبباسطِ الأرض القرار وسامكِ السبع الصِّلاب
إني أحبُّك مخلصاً من غير شك وارتياب
وأحب مُلْكَك لله ما بين بُعدٍ واقتراب
فلأنصَحَنَّك ما حييت وأجعلنَّ رضاك دائماً
ولأُنفِقَنْ فيك الحياةَ وأشكرنَّك في التراب

الباب الرابع

في أقسامها ورسومها

يتألف من تسعة فصول وهي(*):

١ـ أقسامها ورسومها.

٢ـ فصل في الخصال التي يجب أن تجتمع في الوزير مع ما تقدم وصفه من الشرائط والآداب.

٣ـ فصل في الفرق بين هاتين الوزارتين.

٤ـ فصل في ذكر رسوم وزارة التقييد.

٥ـ فصل في ذكر المشورة.

٦ـ فصل في وصف ما ينبغي أن يستشار ومن لا يستشار.

٧ـ فصل في كتمان الأسرار وكيفية المشورة.

٨ـ فصل في احتياج الملك لمعونة الوزراء.

٩ـ فصل في وجوب النصح بالاستشارة.

(*) إضافة من المحقق.



الباب الرابع

في أقسامها ورسومها

الوزارة على قسمين: مُطلَقة ومقيَّدة، خاصَّة وعامة، كالوَكالة. فالمطلقةُ تسمى وزارة التفويض، وهي أكمل الولايات وأتمها، لاشتمالها على النَّظر في أمور المملكة، وهي لا تحتمل الشركة، لأنها وزارة تامة عامة، فالشركة تَنْقُصها وتخصصها، بخلاف وزارة التقييد، فإنها تحتمل الاشتراكَ، إذ لا تنقص ولا يتغير نظامُهـا بذلك، والأظهر أنها إنما تنعقد باللفظ بقول الخليفة الإمام أو الملك لمن ينْدُبُه لذلك:

«قلَّدتُك وزارتي والنيابة عني في جميع ما إليَّ من ولاية الرعية».

فيقول: «قَبِلتُ وتقلَّدتُ» وإن سكت وباشر، فهو كالقَبُول.

فهـل يكفي في ذٰلـك الخطُّ والـرسالة والتوقيع مع العبيد والخدم؟ ففيه خلافٌ بين العلماءِ والأظهرُ عند أصحاب الشافعي أنه يكفي مجرَّدُ الخط، ولا ينعقدُ به حكم شرعي، وكانت الخلفاءُ من بني العباس يباشرون الوزراءَ بلفظ التقليد والنِّيابة، وكذلك كانوا يباشرون الملوكَ والأمراءَ أيضاً، فكانوا إذا عَزَمُوا على تقليد الأمراء، أُحضروا الأعيان والقضاة وأركان الدولة، ثم يقول الخليفة لمن يُولِّيه المُلك: «قلَّدتُك النيابة عني، وفوَّضتُ إليك ما وراءَ بابي» فيَخْدُم ويُقبِّل ويقول: «قَبِلتُ». وربما قلَّده بسيف، وعَقَد له اللواء.

وإن قال: «قد استوزَرْتُك، أو فوضت إليك الوزارة» أجزأه ذلك، ولو قال: «قلَّدْتـك وزارتي» لم يكن ذلـك تفـويضاً، لأن المقيَّدة ببعض القيود تُسَمَّى

وزارة، وللإمام أن يستدرك على الوزير بعض ما فوَّض إليه، فيكون حكمُه حكمَ العامِّ الذي دخله التخصيص، والله أعلم.

فصل في الخصال التي ينبغي أن تجتمع في هٰذا الوزير مع ما تقدم وصفُه من الشرائط والآداب

يحتاج أن يَجتمعَ فيه مع الإسلام والبلوغ والعقل شروطُ العدالةِ، وقد اختُلِف في الحرية واشتراطها، والصحيح أنها لا تُشْتَرط كالملك وإمامة الصَّلوات، ويحتاج مع ذٰلك أن يكون موصوفاً برزانة العقل، وجَوْدة الآراء، والمعرفة بالسياسة، لا تَبْهَرُه الأمور، وإن عَظُمت، ولا تُدهِشُه الآراء والأعمال إذا تكاثرت، وليكن فيه الثباتُ والوَقار والنهضة والتنفيذ والتقرير، كما قال الشاعر:

بَديهتُه وفكرتُه سواءٌ إذا اشتَبَهَتْ على الناس الأمورُ
وأحزَمُ ما يكونُ الرأيُ منهُ إذا أعيا المشاورُ والمُشيرُ[22]

ومن حق هٰذا الوزير أن يُعتَنى بأمره، ولا يُعزل إلا بحادثة تُخِلُّ بالتصرف،

---

(٢٢) وردت في كتاب الأحكام السلطانية:

بديهته وفكرته سواء إذا اشتبهت على الناس الأمور
وأحزم ما يكون الدهر يوماً إذا أعيا المشاور والمشير
وصدر فيه للهم اتساع إذا ضاقت من الهم الصدور

هذه الأوصاف إذا كملت في الزعيم فالإصلاح بنظره عام.

انظر: أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ٤٥٠هـ، الأحكام السلطانية (بيروت، دار الكتب العلمية) ص ٢٦.

أو خيانة تثبت، وإذا ولَّى الإمام والياً على عمل، وولَّى الوزير آخرَ على ذٰلك العمـل، ولم يعلم أحدُهما بما فعل الآخر، كان الثابتُ أسبَقَهما، وإن كان الإمام علم بذٰلك، ثمَّ وَلَّى، فهو عَزْلٌ لذلك الوالي، وتقليد لمن ولَّاه بعده، وهو المستقر.

وقال بعضُ العلماء، لا ينعزل الأول إلا بتصريحٍ بالعزل. وقال بعضهم: إن كان العمـلُ ممـا يحتمل الاشتراك، أُشرِكَ بينهما، وإن لم يحتمل، بقي موقوفاً على صريح العزل أو التقرير.

فصــل

قد تقـدّم القول في أن هٰذه الوزارة هي العامة التامة، فلينظر واليها في جميع أمورها، دقيقها وجليلها، وليندب لجميع الولايات من يَليقُ بها، ويتفقَّد أحوالهم في أثناء ذٰلك، فيُقر الكافي، ويُبصِّر الغبي، ويعلِّم الجاهل، ويعاقب المسيء الخائن، ويصرف العاجز.

ومن مهمَّات الأمور النظرُ في أمر الأموال، وأمر الأجناد، فيؤلِّف الأجنادَ ويَسُوسُها على ما يليق بها، ويولِّي عليهم العراض[23] فيكتبون حُلاهم وأنساب خيلهم، وصفات أسلحتهم، ويثبت أقطاعهم وأرزاقهم، ويعجِّل ما استحق منها، ويعوِّض عما تَلِفَ بآفة سماوية، ويُظهر الإحسان إليهم، والزيادة لأهل الغَناءِ والنَّجدة. وسوف نذكر ذلك بتفصيله في مواضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما الأموال، فلتكن العنايةُ بتثميرها أكثر من العناية بتحصيلها، والاقتصاد في الجمع والإنفاق، ويتعيَّن على هٰذا الوزير أن يُمعِنَ النظر في دقائق مصالح المملكة وتحسينها، وما يَعُود بقوَّتها وتمكينها، ويذكي العيون، ويستعلم الأخبار، ولا يَغْفُل عن خَلَلَ يُتَوهَّم، أو فساد يظهر، فقِدَماً قال الحكيم: «لا تتهاونَنَّ بصغير يحتمل الزيادة»، ولا يطوي عن المَلِك شيئاً من هٰذه الحوادث رجاءَ أن تزول قبل إشغال سرِّه بها، فكم أعقب تأخير ذٰلك من خلل لم يمكن تداركُه، ولأن يشغَل سرَّ الملك بالحادث وهو سهل يمكن تداركه، خير من أن

(٢٣) جمع عارض وهي من عرض الجند.

يطوي عنه فيَدهَمَه وقد عَجزَ عنه، وفات استدراكه، وهٰذا المعنى مجموع في أبيات نصر بن سَيَّار والي خرسان التي كتبها إلى مروان عند ظهور أبي مسلم، وهي[٢٤].

أرى خَلَلَ الرمادِ وميضَ جمرٍ ... ويوشكُ أن يكونَ لها ضِرامُ

فإنَّ النار بالزندين تُورَى ... وإن الحرب أوَّلُها كلامُ

فإلا تُخمِدُوها نجن حرباً ... يكونُ وَقُودُها قصر وهامُ

أقول من التعجب ليتَ شِعْري ... أأيْقاظٌ أُميَّةُ أم نِيامُ

وكما أنه لا ينبغي أن يَخُورَ ولا يرتاع إذا دَهَمَه أمر عظيم، وبَغَته خَطْب جسيم، بل يثبت ويرزن ويتلقى ذٰلك بصدر فسيح، وجَنانٍ قوي، ويشتغل بدفع ذٰلك، فكم من حَدَثٍ كارث صعب زال في أقرب وقتٍ، وأيسر أمرٍ، ومن اطَّلَع على تواريخ الدول، وحوادث الفتن، علم كثيراً من ذٰلك.

ومِن حق هٰذا الوزير أن لا يَبعُدَ عن بلد الملك، ولا يغيب عنه، إلا عن ضرورة تدعو إلى ذٰلك بصدر فسيح، وجنَانٍ قوي، ويشتغل بدفع ذلك، فكم من حَدَثٍ كارث صعب زال في أقرب وقتٍ، وأيسر أمرٍ، ومن اطَّلعَ على تواريخ الدول، وحوادث الفتن، علم كثيراً من ذٰلك.

ومِن حق هٰذا الوزير أن لا يَبعُد عن بلد الملك، ولا يغيب عنه، إلا عن ضرورة تدعو إلى ذٰلك، كسدِّ ثَغْرٍ، أو إزالة خَلَل. وقال أبو زيد البَلْخي: مَن كان بهذه المَثابة من الوزراء الكُفاة الثِّقات، جاز أن يسكن في الأطراف،

---

(٢٤) نصر بن سيار رافع بن حرى بن ربيعة الكناني (ـ٧٤٨م ـ ١٣١هـ) هو شيخ مضر بخراسان ووالي بلخ، ثم خراسان وقد قويت الدعوة العباسية في أيامه.
الترمانيني ص ص ٨٢٤ـ٨٢٥.

وينتقـل في الأقـاليم، لأنـه يُصلحُ البلاد، ويَسُوس العباد، والمَلِك الأعظم المسمَّى الإمـام، يسكن سُرَّةَ البلاد ووسطها، ولذلك اختارت ملوك الفرس العراقَ، وكذلك خلفاء بني العباس.

وأما الوزير الثاني الخاص الذي يُعرَف بوزير التقييد، فإنه يتعيَّنُ عليه أن لا يغيبَ عن موضوع المَلك، لأنه يحتاج إلى مشورته ومراجعته في أكثر الأمور الحوادث، فلا يبعد عنه ليلاً ولا نهاراً.

فصل في الفرق بين هاتين الوزارتين(*)

وهي فروق:

منها أن وزارة التفويض عامة، ووزارة التقييد خاصة.

ومنها أن تلك تحتاج إلى عَقْدَ ولاية وهٰذه لا تحتاج إلى ذٰلك.

ومنها أن تلك يُعتَبر فيها العدالة والسياسة، وهٰذه لا يغير فيها ذٰلك.

ومنها أن ذاك يُؤاخَذ بما يطرأ من خلل، لأنه مستبِدٌّ بالتدبير، وهٰذا لا يُؤخَذ بذٰلك.

(*) العنوان من إضافة المحقق.

فصل في ذكر رسوم وزارة التقييد(*)

فصل في ذكر رسوم وزارة التقييد وهي الخاصة.

ومن وظـائف هٰذا الـوزير أن ينـظُرَ في جميع الـدواوين، ويستعـرض حساباتهم وأعمالهم ويُقَوِّم معوجَّهم، ويصلح فاسدهم، ويعرض على الملك الجمل من ذلك، ولا يعزل الولاةَ، ولا يصرف من كان على رؤوس الدواوين والأعمال الجليلة، إلا بأمر الملك، لأنه كالواسطة بين الملك والرعية، ولهذا قيل: إن هذا الوزير لا يحتاج إلى ولاية وتقليد، لأنه مأمور في كل قضية، ولا يعتبر فيه ما يعتبر في الأول من العدالة والحرية والعلوم، بل تُعتبر فيه الأمانة والصـدق، فإنـه سفيرٌ بين الملك وأهـل المملكـة، حتى يُصانَ المِلكُ عن الامتهان بمباشرة الأشغال، فهو للملك كاللسان، بل كالحواسِّ وينظر في أمر الرعية، ويسمع شكاويَهم، ويرفع رقاعهم، والذي يمكن من رفع الظلم عنه فيرفعه، والذي لا يقدرُ عليه لا ينهيه.

وينـظر في حال العمـال والكتاب مع المستوفي[٢٥]، فينصف بينهم ولا يُمَكِّنه من الحَيْف عليهم، ولا من الميل معهم، حتى لا تضيع الأموال ولا تُظْلَم الرعايا والعمال، فهذا من خاصِّ نظره الذي يلزمهُ البحثُ عن دقائقه وأبوابه، إذ الملكُ لا يمكنه البحث عن ذٰلك.

(*) العنوان من إضافة المحقق.

(٢٥) الذي يضبط الديوان.

وينظر في أحوال القضاة والولاة وأرباب المناصب، ويعلم المشكور والشكوّ، والصالح والطالح، والناقص الحال والتام المعيشة، ومن يستحق الزيادة والتقديم، ومن يستوجبُ الصرف والتأخير، وينظر في الحقوق السلطانية، والأمور المصلحية، والوظائف القديمة، فما كان حسناً وعدلاً أجراه وأمضاه، وما كان جَورا وحَيْفَاً أعلمَ به الملك، وتلطّف في إزالته، لتكون السياسة محمودة، والدولة مشكورة، والنعمة محروسة، وهذه الوزارة هي التي تحتمل الشركة والانفراد كالوكالة.

فصل في ذكر المشُورة

قال الله تعالى معلِّماً نبيه عليه السلام: ﴿وشَاوِرْهُم في الأمرِ فإذا عزَمْتَ فتَوَكَّلْ على الله﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عليه السلام: «ما خابَ من استشارَ، ولا نَدِمَ من استخارَ»[٢٦].

وقال: «المستشارُ مُؤْتَمَنٌ»[٢٧]. يريد بذلك أداء النصيحة إلى المستشير، وحفظ الأمانة للمُشير، والمشورة التي يستعان بها في تدبير السياسة والآراء أصنافها، والسياسة نظام الدولة، وصورة الملك، فإذا ضعفت الآلة أو فسدت، ضَعُفَ الملك أو فسد، إذا استعملت تلك الآلة فيه، قال بعض العلماء: الآراء هي قياس الأمور مستَقبَلة على أمور ماضية، ولها أمثال وأشباه، ومادة الرأي التجارب مباشرة، أو سماعاً، فلكثرة التجارب نُدِبَ إلى استشارة المشايخ، ومن قال باستشارة الشبان شَرَطَ أن تكون أمزجتُهم صحيحة، وقرائحهم سليمة، وعلومهم ورواياتهم غزيرة.

وقال المأمون لولده موصياً ومعلِّماً: استشيروا ذوي الرأي والتَّجربة

---

(٢٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير»، ص ٢٠٤، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/٩٦: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» من طريق عبدالسلام بن عبدالقدوس وهو ضعيف جداً.

(٢٧) أخرجه ابو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢) وابن ماجه (٣٧٤٥) عن أبي هريرة.

والحِنْكة، فإنهم أعلم بمصارف الأمور، وتقلُّبات الدهور، وأَطيعوهم وتحمَّلوا ما يُغلِظُون به من قول، يُكشفونه من عيب، لما ترجونه من حالة تُصلَح، وفَتْق يُرتَق، فإن من جَرَّعكم المرارة لشفائكم، أشفق ممن أطعمكم الحلاوة لِسَقامكم.

قال القاضي الجُرجاني(٢٨) رحمه الله:

شاوِرْ سواكَ إذا نابَتْـكَ نائبـةٌ يومـاً ... وإن كنـتَ من أهــلِ المَشُــوراتِ
فالعينُ تلقى كفــاحــاً ما نأى ودنــا ... ولا تَرى نَفْـسَـهــا إلا بمِــرْآةِ

وقد ورد في الأثر: استرشدوا العاقلَ، تَرشُدوا، ولا تعصوه، تندموا.

وقيل: مَن أكثَرَ المشورَة، لم يَعْدَم على الصواب مادحاً، وعلى الخطأ عاذراً.

وقال بعض العلماء: المشورةُ والآراء صناعة نفسانية صِرْفة، فلهذا كانت أشرف، كما أن الحمل على الرأس وغيره صناعة جسدانية، فلهذا كانت أخسَّ. والخطأ في ذلك شديد الضرر. والخلل بخلاف هٰذا، فكم من دماء أُريقت، وبلادٍ أُخربت، ومحارمَ انتُهكت، وسبب ذُلك سوءُ الآراء وخللها، وفي منثور الحِكَم: شاوِرْ قبل أن تُقدِم، وتمكَّن قبل أن تندم. فينبغي للوزير إذا دهَمَه أمر يضطربُ له حاله، أن يثبُت في المشورة، ويُخمِّر الآراء، ولا يَعْجَل، فإنه لا يزيد الصعبَ التأنِّي إلا سهولةً، والفكرة إلا بصيرةً، ثم يجدد الاستشارة بعد الأناة، فقد تبدو من الشرور بوادرُ ليس لها ثبات، ولا هي على أصول. ولا خير في الرأي الفطير.

---

(٢٨) القاضي الجرجاني: أحمد بن محمد بن أحمد بن العباس الجرجاني (ـ١٠٨٩م ـ ٤٨٢هـ) هو قاضي البصرة وشيخ الشافعية في عصره وله التحرير والبلغة والشافي والمعاياة، انظر الزركلي، الأعلام ج١، ص ٢٠٧.

فصل في وصف من ينبغي أن يستشار ومن لا يستشار

يُختار للمشورة أهل العلوم الغزيرة، والتَّجارب الكثيرة، والحُلوم الرزينة.

قال البلخي: شاور في أمرك مَن جَرَّب الأمور وخَبَرها. وتقلبت عليه الحوادثُ وباشرها، ما لم يُوهِنه ضعف الهرَم. ولا يغيره حادث السَّقَم.

ويروى أن أَكْثَم بن صَيْفِي[29] حكيم العرب اجتمعت عليه بنو تَميم في حرب يوم الكِلاَب، فقالوا: أشِرْ علينا بالصواب، فإنك شيخنا وموضع الرأي منا، فقال لهم: إن الكبر قد شاع في جميع بدني، وإنما قلبي بَضْعة مني، وليس معي من حِدَّة الذهن ما أبتدى له بالرأي. ولكنكم تقولون فأسمع، لأني أعرفُ الصواب إذا مرَّ بي.

سمعت القاضي الفاضل رحمه الله يُنشد مذاكرةً:

إذا ما انْجَلَى الرأيُ فَاحْكُمْ بِهِ ... ولا تَحكُمَنَّ بما يَشْتَبِهْ

ونَبِّه فؤادك عن غفلةٍ ... فإنَّ الموفَّق من يَنتَبِهْ

---

(٢٩) أكثم بن صيفي: هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي (٦٣٠م - ٩هـ) وهو من حكماء العرب ومن الخطباء المشهورين في كلامه حكم وأمثال.
عندما سمع عن بعثة الرسول محمد ﷺ فإنه خرج مع مائة رجل من قومه، فمات في الطريق. الترمانيني، ص ٢١٢.

وقال: يُستشار في الحرب ذوو العقول السليمة من العلماء، ولا يُستشار أهل الحرب، كالزَّند يستنبط منه النار، فإنه يُصليها ولا يَصْطَليها.

وقرأتُ في رسالة كتبها عبدُالله بن حمزة العَلَوي النَّاجم[٣٠] باليمن تتضمَّن وصيته إلى عامِلَين من عمَّاله على بعض قلاعه: «واعلما أن للمشورة آفةً إن سلمتما منها نِلْتما نفعها إن شاء الله: وهو أن المُشير لا بدَّ أن يجمع أربعة أمور: الدين، والعقل، والنُّصح، والمودة. وكلُّ من كان بغير هٰذه الصفة الداء الدفين، وبعد هٰذه الخِصال تصحُّ المشورة، إلا أنها تستمرُّ ما لم يعلم المستشير طبعَ المُشير، فإن الجهل بذلك يؤدِّي إلى الضرر، لأن المشير إنما يُشير بما يناسب طبعَه، فإن كان متوهناً متهوِّراً مِقداماً، أشار بالاقتحام على غير بصيرة، وإن كان يقظاً حازماً حارساً حُوَّلاً قُلَّباً[٣١]، أشار بما ينتظمُ به التدبير، وتصلح به الأمور، وتسد الثغور. لبعض المتقدمين.

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً ... فأرسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ
فإنْ ناصحٌ منك يوماً دنا ... فلاتَنْأَ عنه ولا تُقْصِهِ
وإن بابُ أمرٍ عليك الْتَوى ... فشاوِرْ لَبيباً ولا تَعصِهِ

ولغيره في المعنى:

وأنفَعُ من شاورتَ من كان ناصِحاً ... لبيباً فأبصِرْ بعدَ ذا من تشاوِرُ
فليس بشافيك الصديقُ ورأيُهُ ... عدوٌّ ولا ذو الرأي والصدرُ واغِرُ

وإذا كان المشير دون المستشير في أصالة الرأي، فلا يضرُّ، بل ينفع،

---

(٣٠) عبدالله بن حمزة العلوي (١١٦١-١٢١٧م ٥٦١-٦١٤هـ). أحد الأئمة الزيدية في اليمن ومن علمائهم وشعرائهم. الزركلي، الاعلام ج٤، ص ٢١٣.

(٣١) الحُوَّلي القُلَّبي: المحتال البصير بتقلُّب الأمور. قاموس.

ويزداد به كما تزيد النار ضوءاً بالزيت.

وقال بعضُ الفضلاء: اعدِلْ عن مشورة من قَصَد موافقتك متابعة لهواك، أو اعتَمَدَ مخالفتك انحرافاً عنك، واعتمد على من تَوخَّى الحق والصواب لك وعليك.

وقيل في منشور الحِكَم: مَن التمس الرُّخص والموافقة من الإخوان في الآراء، فقد غَش وخانَ. كما أن من فعل ذلك في الفقه، أخطأ في الأحكام. ومن فعله في الطب، زاد في الأسقام.

ولا ينبغي أن يُستشار النساء ولا الصبيان لنقص عقولهم، وضعف آرائهم، وقلَّ من حَكَّم النساء، إلا وانقاد إلى الخطأ.

قرأتُ في التاريخ: أن مصعب بن الزبير[٣٢] لما قدم البصرة متجهزاً إلى الشام لحرب عبدالملك بن مروان، فبَذَلَ العطاءَ، ونَدَبَ الناس للخروج، وكان فيمن عَزَمَ على مساعدته الأحنفُ بن قيس[٣٣]، فأخرج مَضرِبَه حتى نصبه في عسكر ابن الزُّبير، فتسامعت بنو تميم، فخرجت معه فوجاً بعد فوج، وبادرت زَبْـراء جاريتـه، فبكت عنـده، فسألها عن ذلك، فقالت: يقولُ الناسُ: إن

---

(٣٢) مصعب بن الزبير (٦٤٧-٦٩٠م ٢٦ - ٧١هـ) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي. كان مساعداً لعبدالله شقيقه فولاه البصرة والكوفة، حارب الخليفة عبدالملك بن مروان الذي سير الجيوش إليه وعرض عليه العراق طيلة حياته شريطة أن يتراجع عن القتال فلم يفعل حتى قتل. انظر الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ١٤٩.

(٣٣) الأحنف بن قيس (٦١٩-٦٩١م ٣ق هـ - ٧٢هـ) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي أبو بحر سيد تميم. كان مضرب الأمثال في الحلم ولعبد العزيز بن يحيى الجلودي كتاب (أخبار الأحنف).

الأحنف قد ارتُكِسَ في الفتنة، وخرج للطمع، فقال: أصبتِ، ولست أمضي، ثم وَجَّه إلى مضربه فرَدَّه، فلما بلغ ذلك مصعباً، وعلم أن الناس يتقاعدون، فقال: من أين دُهيتُ في الأحنف؟ فقيل: من جاريته، فبَعَث إليها بتُحَف وثياب وألف درهم أو أكثر، فجاءت وبكت عنده، فقال: ما يُبكِيك؟ فقالت: عَيَّرني النساءُ فقلن: خرج رجالُنا وجُبُنَ سيدك وفزع. فبَعَث مضربه وخرج، فعجب الناسُ من ذلك، فكانت هٰذه من سَقَطات الأحنف.

وهٰكذا كانت دولة المقتدر بالله[٣٤]، كان في مبادئها من الضعف والوهن واختلال التدبير، وفساد قواعد المُلْك، ما لا خَفاءَ فيه، وسببُه أنه ولي الخلافةَ وهو صغير، وتصرَّفت والدته وخالته وقَهْرَمانتهُ في الملك، فكان ما كان، وقد يكون فيهن ذات العقل والرأي، وكذلك في الأحداث والصبيان، إلا أنه على النُّدْرة.

وقال عليه السلام: «لن يُفْلِحَ قومٌ وَلَّوا أمرَهُم امرأة»[٣٥].

ويروى أن بعض وفود العرب دَخَلَ على عمر بن عبدالعزيز، فتقدَّم شاب ليتكلم عنهم، فقال عمر: ليتكلَّمْ شيوخُكم، فقال الشاب: يا أميرَ المؤمنين، إن قريشاً تَرى فيها مَن هو أسنُّ منك، وقدَّمتك، فوَجَم له عمر، ولم يُحِرْ جواباً.

---

(٣٤) المقتدر بالله (٨٩٥ ـ ٩٣٢م ـ ٢٨٢ ـ ٣٢٠هـ) هو جعفر بن أحمد بن طلحة أبو الفضل المقتدر بالله بن المعتضد ابن الموفق، ولد في بغداد وبويع بالخلافة ٢٩٥ وخلع بعد عام ثم أعيد تنصيبه، كان يستعين كثيراً بخادمه مؤنس الذي خرج عليه بالقوة المسلحة، وانهزم المقتدر بالله وقتل. الزركلي ـ الاعلام، ج٢، ص ١١٥.

(٣٥) أخرجه البخاري (٤٤٢٥).

فصل في كتمان الأسرار وكيفية المشورة

ينبغي للملك إذا استشار في مُهِمٍّ أن ينفردَ مع كل مشير على حِدَة، ويسمعَ ما يشير به، ولا يحدِّث به الآخر، فإذا اجتمعت الآراءُ مَحَّصَها اختباراً، ونقَّحها اختياراً، واستخار الله تعالى في أحدها، ثم جمع الجماعة وفاوضهم في جميع ذلك، ولم يعيِّن لهم أصحاب الآراء، ثم فاوضهم فيما تَرَجَّح عنده حتى يتفق معهم عليه، فإن خالفوه استشارَ غيرهم، فإن خالفوه وافقهم، إذِ الجمعُ من العقلاء أبعدُ عن الخطأ من واحد، وإذا عارضهم في رأيه معارِض، فلا يجيبه بالرد أو بمعارضةٍ، بل يستوضح منه ويُمْعِنُ النظر، فإن الفكر والتأنِّي محمود العواقب، قال القَطَامي[٣٦]:

قد يُدرِكُ المتأنِّي بعض حاجتهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ

ويُحكى أن المنصور لما بلغه خَلْعُ أهل إفريقيَّة لطاعته، عَزَمَ على النهوض إلى قِنِّسْرِين، والمُقام بها وتجهيز العساكر منها، والغزو في البر

---

(٣٦) القطامي (ـ٧٤٧م ـ ١٣٠هـ). هو عمير بن شييم بن عمرو بن عباد من بني جُشَم بن بكر أبو سعيد التغلبي الملقب بالقطامي. من نصاري تغلب في العراق وهو أول من لقب صريع الغواني بقوله:

(صريع غوان راقهن ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب)

انظر الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٦٤.

والبحـر، فأظهـر الحـركةَ، وأمرَ أصحابه بالتأهُّب لذلك، ولم يذكر الجهةَ، فاجتمع أبو أيوب المَرْزُباني وعبدُ الملك والربيع الحاجب، فتذاكروا ذلك، ورجموا الظنون فلم يُصيبوا شيئاً، ولم يُقْدِموا على مسألته، فقال عبدالملك: أنا أستكشفُ لكم خبره، فإذا دخلنا إليه وأردنا الانصراف، فتأخَّروا عني ساعة حتى أكلِّمـه، ففعلوا ذلـك، فتقـدَّم إليه وقـال: يا أمير المؤمنين، قد تهيَّأنـا للمسير، وفَرَغْنا من كل ما تحتاج إليه، وبقي علينا ما نتكاراه من الظَّهْر، ولا ندري إلى أين نتكـاراه! فقال المنصور: يا بنَ الخبيثة، جلستَ أنت وفلان وفلان فقلتم كذا وكذا، وقلت أنت: أنا أكشفُ لكم خبر المنصور، اخرج فاكْتَر مياومةً، ولو كل يوم بألف، وأما أن أُعلِمَك فلا، ولا كرامةَ. وكان ذلك حَدْساً منه وفطنة، والكِتْمان تدبير سياسة.

وينبغي للملك أن لا يجْعـلَ بين الوزراء وبين أصحاب الأخبار والبريد تعلُّقاً ولا التزاماً، فإن ذلك يطوي عنه كثيراً من الأخبار، ويُوهِن المملكة، وتتمُّ الحوادث وهو لا يشعر بها.

يُحكى أن المأمون لما بايع لعليٍّ بن موسى الرضا[37] وهو مجرّد، بلغ ذلك بني العبـاس ببغداد، فغَضِبُوا لذلك، وقالوا: لا نطيعُه على إخراج الأمر من بيننا، فاجتَمَعوا وبايعوا إبراهيم بن المهدي، وثارت العَلَوية بالحجاز واليمن والعراق وطَبَرِسْتان، وحاربوا الحسن بن سهل حتى كسروه، والأخبار إذ ذاك

(37) علي بن موسى الرضا: علي بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق أبو الحسن الملقب بالرضا (٧٧٠ ـ ٨١٨م ١٥٣ ـ ٢٠٣هـ). ثامن الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، من مواليد المـدينة من أم حبشية، عهد المأمون إليه بالخلافة من بعده، وغير من أجله الزي من اللون الأسود إلى اللون الأخضر، توفي بطوس قبل المأمون ودفن إلى جانب الرشيد. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ١٧٨.

مطوية عن المأمون بسببَ تحكُّم الفضل بن سهل، وتحكُّم أصحاب البريد والأخبار، فتحيَّلَتْ جاريةُ المأمون إلى أن بعثت له خِلَعاً من خَزٍّ ووَشْيٍ، وكتبت على بطانتها ما أرادت، وجعلت عليها بطائنَ خَلَقَة فوق ذٰلك. فلما عُرِضت على الفضل حملها إلى المأمون، [ولما] أراد المأمونُ لُبْسَها، تعجَّب من رداءة بطانتها ووسخها، فنزعها، فوَجَدَ الكتابة عليها، فغضب من انطواء الخبر عنه، وتَنَكَّر للفضل بن سهل، فقال: أردتُ أن أكفيَك هٰذا الأمرَ، ثم أُعلِمَك به. فلم يقبل عُذْرَه، ورحل إلى العراق من وقتِه، وأمر أصحاب البريد أن يَرِدُوا عليه، ولا يُحْجَبوا عنه من ذلك الوقت.

فصل في احتياج الملك إلى معونة الوزراء

إنه لن يصل الملك إلى ما يريد من إحكام التدبير وضبط الأمور إلا بحُسْن معونة الوزراء والأعوان، التي تجري على أيديهم الأعمالُ، وأن تستكمل المنفعة من الوزير حتى تتكامل فيه خِلال، وهن: العلمُ بالأعمال التي يليها، وحسنُ السياسة لها، والنظرُ بوجوهها وما فيه من أحكامها، والنفاذ في معرفة لطائفها وغوامضها، وإخلاص النصيحة حتى يُؤْثِرَه المَلِكَ على نفسه وعلى الناس كلهم، وشدة المحبة له، وإذا كان كذلك لم يُداهِنْ أحداً في تضييع حق، ولم يلتمسه على الغش له، ولم يستخفَّ بالخَلَل يراه في شيء من أمر دولته، ولم يلتمس الحَظْوة عنده بمتابعته على هواه في الأمر الذي يتخوَّف إضراره به، والعَفاف عن الأموال، واستشعار الناس عن كل ما دعا إلى تضييع عمل، وانتقاص حق، ويكلف الأهل والأعوان والبطانة مثل ما يكلف به نفسه.

وقالوا: الوزارةُ أبعد الأمور عن أن تَحتَمِلَ غيرَ أهلها، ويَسوغ لكل أحدٍ الطمعُ فيها، لأن الوزير من الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه، ألاَ ترى أن الملك مستورُ البَدَنِ عن الناس، مغلق الباب دون العامة، فمهما أمَر من أمرٍ، احتاج إلى أن ينفِّذَه وزيره على أحسن الوجوه وأوجهها ليحجبه عن رعيته، ومهما دفع إليه من شيء، احتاج أن يُعَرِّفه صدقه من كذبه، وحقَّه من باطله، ومهما وصل إليه بيوت ماله وخزائنه، احتاج إلى أن يحفظه حتى لا يتحرك ولا يختان، ومهما كان في أقاصي البلاد من خبرٍ، أو حَدَثَ فيها من حَدَثٍ يطويه العمالُ، ويَكْتُمُه الولاة، احتاج إلى أن يبلغه إياه، ويعرض عليه الرأي فيه، وأن

يكون ذلك الأمرُ من رجل صحيح الرأي، صائب التدبير، فإن أمر الملوك أعظمُ من صلاح الوزراء، وأي ملكٍ أسوأ لنفسه نظراً من امرىءٍ جَعَل بهذه المنزلة من لا يستحقُّها.

وليس من الصواب الشركةُ بين الرجلين في الوزارة، يداخلها التضاد والتنافس والتباغي والتحاسد والتنازع والتشاغب، وذلك داعيةٌ إلى فساد الأعمال، وضياع الأمور، فأما الصنف الذي ينبغي لأمثاله، فهو ما احتيج به إلى الحفظ والأمانة، واستغنى يه التدبير والحكومة، وأما العمل الذي ينبغي إفراده به، فهو من الأعمال التي ينبغي تعجيلُ إمضائها، وإبرام الرأي فيها.

وقال الحكماءُ: إذا رفع السلطان وزيرَه إلى مرتبة من تكرمته، فلا يُتْلِفْها بالإكثار لها، والتصاغر عنها، فإنه وإن حَسُن في ظاهر أمره، قَبُحَ في باطنه، لأنه يرى أنه استشرف شيئاً من فعله، ولكن يقبل منه طَوْله، وشكره شكرَ من يجدُ في نفسه الإصلاح بجميل المكافأة بالخدمة والنصيحة.

وقالوا: لا يقْبل الوزير تفويض سلطانه إليه، وتتميم إمضاء ما لم يعهد إليه، فإن عواقب التفويض ردية، والتفويض مطية التكبر، وأخطرُ طرق الاسترابة، وإذا سلك الملكُ طريقَ الإضرار بالناس، فليَجْذِبْهُ برِفْقٍ إلى طريق مصلحتهم، ولتكون صورته عنده المحبة للإحسان إليهم، والكراهية للإضرار بهم، وإذا دعاه إلى شرابه ولَهْوه، فليكن الإعظامُ له فيه أكثر من الالتذاذ به، وليستعمل التحرُّزَ منه في وقت انبساطه إليه، فإذا شاوره الملكُ فلا يكلِّمْه كلامَ المرشد لمن استهداه ما أشكل عليه، وليَرَ فيه من الحاجة إلى غرض ما يشير به عليه أكثر من حظِّه في فائدة ما بدا منه إليه. وإذا ذَكَرَ له خطأ كان منه، فليجل فكره في الاعتذار له منه، ويتجنَّب أن يوافقه على دينه.

وقالوا في وصاياهم: إذا نابَذَكَ عدوٌّ بين يدي الملك، فلا تكلِّمْه إلا بإذْنه،

واذكر له أنك لا تطيقُ النطق في مجلسه لجلالتهِ عندَك جميع ما حضرك فيه، وأظهر التهاون من قوله، والتبسم منه، فإنه يستشيطُ وأنت وادعٌ، وتقع به التهمة وأنت آمنٌ، ولا تتغيَّظْ في مجلسه، فإن الغيظ يحرِّكُ الانتصار، وليس يكون الانتصـار بحضرته إلا به، ولٰكن حَرِّكْ غضبَ الملك بوجوب حُجَّتِك عليه، وخَلِّ بينه وبين الأمر.

قالوا: وسبيلُ الوزير إذا كانت بينه وبين الملك مقاربة وانبساط في حال من الأحوال، فليباشِرْه بها في الخَلْوة، ولا يَنْسى الصواب في الجماعة، وإذا عَتَبَ عليه في شُبْهة لاحت له في أمره، فلا يَقْبَلْ مسامحته إياه بالرضا عنه من غير تكشفٍ، ولْيُره أنه لا يُؤثِرُ الحياة إلا ببراءة الساحة من سوء الظِّنَّةِ، فإن ذلك زائد في محله ومنبه على خطره.

فصل في وجوب النصح بالاستشارة

فاعلم حيث قَدَّمتُ لحضرتك الشريفة احتياجَ الملك، فيجب عليك النصيحةُ له، لما وَرَدَ عن أُبَيٍّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ الدِّينَ النَّصيحةُ» قالها ثلاثاً، قالوا لِمَنْ يا رسولَ الله؟ قال: «للهِ ولِرَسُولِهِ ولأَئِمَّةِ المسلمينَ وعامَّتِهِم»[٣٨].

وفي الحديث عن جرير بن عبدالله قال: بايعتُ رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة، والنُّصحِ لكل مسلمٍ[٣٩].

وقد استشار زيادٌ عبدالله بن عمر في تقليد رجل القضاءَ، فأشار عليه به، فاستشاره ذلك الرجل في القَبُول، فنهاه ولم يُشِرْ عليه، فبلغ ذلك زياداً، فقال له: كيف يكونُ هذا؟ فقال: الدِّينُ النصيحةُ، وقد نصحتُكما.

وفي جزالةِ الرأي وسداده عند صعوبة الأمر واشتداده، تجب المبادرة بالعمل والرأي السديد متى ظَهَر، وإلّا أعقب أثر تأخيره سوءُ العاقبة، وحدوث الندم، كما قال أبو مسلم الخُراساني حين فارق معسكره وجاءَ إلى العراق قادماً على المنصور لما استدعاه، وكان كاتبُه قد أشار عليه بأن لا يعودَ إليه احتياطاً لنفسه، فلم يَقْبَل، فلما ظهر له وجهُ الخطأ قال: تركتُ الرأي بالرَّيِّ. فذهَبَتْ مثلاً.

---

(٣٨) روي هذا الحديث عن غير واحدٍ من الصحابة، أصحها حديث تميم الداري عند مسلم (٥٥).

(٣٩) أخرجه البخاري (٢١٥٧)، ومسلم (٥٦).

ومن ذلك قولُ العرب: لو تُرِكَ القَطَا ليلاً لنام، وسببُ ذلك: أن بعض أمراء العرب من اليمن يقال له: عاطس بن جلاح سار إلى الريان بن خلان الحِمْيري وهو في جمع عظيم، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم تَحاجزوا، فلما أَجَنَّهم الليل فَرَّ الريانُ هارباً يوماً وليلته، ولما أصبح عاطسٌ غدا إلى القتال، فلم يجد منهم أحداً، فجرّد الخيل في طلبهم وسار هو، فانتهى إلى قرب منزلهم ليلاً فنزلوا ليصبِّحوهم، فأثاروا القطا، فخرجت حَذامُ ابنة الريان من خبائها، فرأت أسرابَ القطا تمرُّ بهم، فقالت:

ألا يا قومَنا ارتَحِلوا وسِيروا فلو تُرِكَ القَطا ليلاً لَناما

فلم يلتفتوا إلى كلامها لِمَا نالهم من التعب، فقامَ دَيْسم بن ظالم، فأنشد بصوتٍ عالٍ مجيزاً مرتجلاً:

إذا قالتْ حَذامِ فصَدِّقوها فإنَّ القولَ ما قالت حَذامِ (٤٠)

---

(٤٠) لو ترك القطا ليلا لنام.

مثل يضرب لمن يحمل على مكروه من غير إرادته. وهو عجز بيت شعر قالته حذام بنت الريان

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلاً لناما

وكان عاطس بن جلاح سار إلى أبيها في حمير وخثعم وجعفي وهمْدان ولقيهم الريان في أربعة عشر حياً من أحياء اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً وفي الليل هرب الريان وجماعته حتى وصلوا لمكان فعسكروا فيه، وفي اليوم التالي طاردهم عاطس، وفي الليل وعندما أصبحوا على مقربة من معسكر الريان فإنهم أثاروا القطا فطار ومر بأصحاب الريان فقالت حذام لو ترك القطا ليلاً لنام ونصحت قومها بالرحيل لأن هناك من أثار القطا فطارت. وفعلاً فإن نصيحتها كانت في محلها ولم يتمكن عاطس من الريان فقيل:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام =

فثاروا معتصمين حتى التجؤوا إلى وادٍ منيعٍ، وجاء العدو صباحاً فلم يجدهم، وفاتوه، فكان ذلك سبب نجاتهم.

ولما بلغ المنصورَ وفاةُ أخيه السفاح، وكان قافلاً من الحج ومعه أبو مسلم، إلا أنه يتقدَّمه في المنازل، وهو وإن كان وليَّ العهد إلا أنه خاف لِبُعده عن الكوفة أن ينتقض عليه الأمر، وكَثُرَ خوفُه من أبي مسلم، فاستشار إسحاق بن مسلم العَقِيلي، فقال له: أنت بين أمرين مخوفين: أحدهما أن يسبقك أبو مسلم إلى الأنبار مع التباعد بينكما، فيَعْقِد الأمر لغيرك، قال المنصور: فإن سلمنا من ذلك؟ قال: يعارضُك عبدالله بن علي، وهو في مثل النحل من الرجال، فيأخذك ويعقدُ الأمر لنفسه، قال: فإن سلمتُ من ذلك؟ قال: فالسلامُ عليك يا أمير المؤمنين. قال له: فما الرأيُ عندك إذاً؟ قال: تكتبُ كتاباً كأنه على لسان إخوتك: أن عمومتك وسائر أهلك قد عَقَدُوا لك الأمر وبايعوا، وتبعثُه مع رجل خبير عاقل وصيف، فيمرُّ بعسكر أبي مسلم، فإنه سيقبضه ويعلمُ ما عنده، فإذا قرأ الكتاب فيُعَرِّجُ عن الطريق، ولا يدخل الأنبار، فإذا عملتَ ذلك ركبتَ على قَعُود وتسلَّلت خفياً، فبادرتَ إلى الأنبار في الطريق المختصرة، فتسبق الأمر، وتَظْفَر به. ففعل ذلك، فكان كما قال، ووَجَدَ عمَّه عيسى بن علي قد أمسك الأمر عليه حتى قدم، فبويع.

ولما عَزَمَ المنصور على قتل أبي مسلم وراسله مرةً بعد مرةٍ في القدوم،

= انظر، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، مجمع الأمثال، ج٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٧)، ص ٨٢.
ولقد ورد على لسان بعض الشعراء ما يشير لهذا المثل مثل مقال مسكين الدارمي بمدح معاوية:

إليك أمير المؤمنين رحلتها ... تثير القطا ليلاً وهن هجود
على الطائر الميمون والجد صاعد ... لكل أناس طائر وجدود

استشار عيسى بن موسى في ذٰلك، فأمره بالتثبت والتوقف حيث يقول:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكن ذا تَدَبُّرٍ فإنَّ فسادَ الرأي أنْ يَتَعجَّلا

فقال له:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ فإنَّ فسادَ الرأي أن يَتَرَدَّدا

ومما قيل في جزالة الرأي وسداده، قولُ بعض الفضلاء البُلَغاء: فلانٌ له فِكر عميق، ورأي دقيق، يعرف من مبادىء الأفعال خواتمَ الأعمال، ومن صدور الأمور أعجازَ ما في الصدور، رأيُه طبيب المملكة وراقيها، وراقع خَرْق الدولة ورافِيها.

ولبعضهم:

مُوَفَّق الرأي ما زالت عزيمَتُه تكاد منها الجبالُ الصُّمُّ تَنْصَدِعُ
كأنما كانت الآراءُ مَنزِلُها بواطنٌ في قلوب الدهرِ تَطَّلِعُ

وقال آخر:

ويعرِفُ وجهَ الحَزْم حتى كأنما يخاطبُ من كل الأمور عواقِبَهْ

ولقد أجاد القائل:

لا تأمنوا آراءَه وظُنونه إن الغيوبَ لها منَ الأمدادِ
وتعوَّذوا بالله من أقلامِه إنَّ السيوف لها منَ الحسادِ

وقال آخر:

بصيرٌ بأعقاب الأمورِ كأنما يَرى بصواب الرأي ما هو واقعُ

وقال آخر:

والرأيُ يَصْدَأُ كالحُسام لعارضٍ يَطْرا عليه وصَقْلُه التفكيرُ

الباب الخامس

في ذكر كفاتهم ونكت ألفاظهم وعفوهم ومدائحهم

ويتألف هذا الباب من(*):

١ـ فصل في الكفاة.

٢ـ فصل يشتمل على نبذ من نكت لطائف الوزراء ومحاسن ألفاظهم.

٣ـ فصل من كتاب آخر.

٤ـ فصل في العفو وما يجري مجراه.

٥ـ فصل لابن ثوابة.

٦ـ فصل في استعطافات الملوك والوزراء وطلب العفو والرضى.

٧ـ فصل في مدائح بعض الوزراء.

(*) من ترتيب المحقق.



الباب الخامس

فصل في الكفاة

الكُفـاة هم الـذين يجمعون بين البلاغة والسياسة، فيحكمون بعدلٍ، ويَنـطِقُون بفَصْلٍ، ويحملون الدولة، ويدبِّرون المملكة، ويَسُوسون الرعية، فإنِ انضافَ إلى ذلك أن يكون في بلاغته صاحبَ خطٍّ، وفصاحة لفظٍ، وجمال منظرٍ، وفي سياسته ذا تحيُّلٍ، وصحة فكرةٍ، وثبات عزيمةٍ، فقد لبِسَ ثوب الفضـل بعلَمَيه، وأخذ الحبلَ بطرفيه، وصَلُحَ لتدبير الدول والممالك، ومن شأن العرب الفصاحةُ والإسجاع والافتخار بذلك، وتكلفه في المجاملة، وكان في دولـة بني أُمية جمـاعة منهم ومن وُلاتِهم ممن يوصف بالبلاغة والسياسة وحُسْن التدبير، ونحن نذكر بعض البلغاءِ من غير اشتراط التقديم والتأخير.

فمنهم عمرو بن العاص، مشهور بالدَّهاء والذكاء والبلاغة والسياسة وتدبير الحروب والدول، وكان لمعاويةَ كالوزير والمدبِّر لدولته والمُشِير.

ومنهم زياد بن سُمَية المنسوب إلى أبي سفيان، له خُطَب بليغة، ورسائلُ وجيزة فصيحة، وسياسة مشهورة، وضوابطُه للأعمال مذكورة.

والحُجَّـاج بن يوسف الثقفي، كان من الفصاحة وَالتمكُّن في البلاغة، والصرامة في السياسة، والجَزْم في التدابير، في غايةٍ لا تكاد تُدْرَكُ، لولا إفراطُ ظلمٍ وعَسْف وتهوُّر أخرجه عن رتبة السُّوَّاس الفضلاء، إلى درجة الأشقياءِ.

ومنهم يوسف بن عمر، والمُهَلَّب بن أبي صُفْرَة، وابنه يزيدُ، والمختار بن أبي عُبَيد، وابن صُوحان، وخالد بن صفوان، وأكثر خلفاءِ بني أمية كانوا يُعانُون

البـلاغةَ في رسائلهم، والفصاحة في خطبهم، كمعاوية ومروان وعبد الملك وكـان حازمـاً بليغـاً، وسليمـان ابنُـه كان عفيفاً عن سَفْك الدماءِ، وعمر بن عبدالعزيز كان بليغاً عادلاً، عفيفاً ناسكاً، سَؤُوساً، وغيرهم.

ومن وزرائهم وكُتَّابهم الكُفاة البلغاء: قَبِيصة بن ذُؤَيب[٤١]، ورجاء بن حَيْوَة الكِنْدي[٤٢]، وعمر بن هُبَيرة[٤٣]، وعبد الحميد بن يحيى[٤٤].

وأمـا الدولةُ العباسية، فالقائم بدعوتها أبو مسلم عبدُ الرحمن بن مسلم الخُراساني، وكان أحدَ رجال الدنيا سياسةً وهِمَّة وبلاغة.

ومن بُلَغـاء الخُلفـاءِ، وذوي السياسة والتدبير: المنصورُ، ثم المَهديُّ، وكـان يبـاشـر الأمـور بنفسـه، ثم الهـادي، ثم الرَّشيد، والمأمونُ عالـِمُ بني العباس، والمعتصم سائسهم، وكذلك المعتضد، وغيره.

وإلى الآن الخلافةُ في ذريتهم، والمعارف والفضائل تُقتبس من جهتهم.

وأما من كان في دولتهم من بُلَغاء الفضلاء، وكُفاة الولاة والوزراء، فأكثر

---

(٤١) قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني، توفي سنة (٧٠٥م - ٨٦هـ) وهو من مواليد عام الفتح. محدث ثقة من فقهاء المدينة اتصل بعبد الملك بن مروان. توفي في دمشق. الترمانيني ص ٦٠٥.

(٤٢) رجـاء بن حَيْوَة بن جرول الكنـدي أبـو المقدام أو أبو نصر (٧٣١م - ١١٢هـ) كان فصيحاً عالماً لازم عمر بن عبدالعزيز في عهد إمارته. الترمانيني، ص ٧٢١.

(٤٣) عمرو بن هبيرة بن سعد بن عدي الفَزَاري (٧٢٨م - ١١٠هـ) بدوي أمي ولّاه عمر بن عبدالعزيز على الجزيرة سنة ١٠٠هـ. غزا الروم وانتصر عليهم. الترمانيني ص ٧١٠.

(٤٤) عبدالحميد بن يحيى. هو عبدالحميد الكاتب.

من أن يُحصَى، فمِن مشاهير الكُفاة الوزراءِ: أبو سلمة الخَلاَّل[٤٥]، وهو أول من تَسَمَّى بالوزارة، وأبو أيوب المَرْزُباني، ويعقوب بن داود، والفيض بن أبي صالح، والبَرامكة بأسرِهم، سيما جعفر بن يحيى، وأصلهم من ولد بَرْمَك، وكان مكرَّماً عند الفرس من أرباب ديانتهم، وانتهت إليهم في العربية البلاغةُ والفصاحةُ، والإحاطةُ بعلوم الكتابة، وكان الناس ربما تَكلَّفوا رَفْع القَصَص والحوائج إلى جعفر لحصول تواقيعه على رِقاعِهم، ثم الفضل بن سهل المعروف بذي الرِّياستين، وأخوه الحسن، وكانا من الفرس أيضاً، وكذلك الفتح بن خاقان، وولده، وعَمْرو بن مَسْعَدة، ومحمد بن عبدالملك الزَّيَّات على ظُلمٍ كان في سجيَّتِه، وأبو محمد المُهَلَّبي، وسليمان بن وهب، وداود بن الجَرَّاح، وولده، وعلي بن عيسى، وبنو الفرات، وبنو مُقْلَة، وبنو جُهَيْر، وبنو رئيس الرؤساء، ويحيى بن هُبيرة.

---

(٤٥) أبو سلمة الخلال، (٧٤٩م - ١٣٢هـ). هو حفص بن سليمان الهمداني كان يسكن بدرب الخلالين في الكوفة، كان حلقة الوصل بين الحميمة وبين خراسان وبعد انتصار جيوش العباسيين سلمت إليه أمور خراسان ويسمى بوزير آل محمد وأعلن الإمامة الهاشمية، ولم يسم الخليفة لأنه كان يرغب بأسنادها إلى جعفر الصادق وعبد الله بن الحسين وعمر الأشرف بن علي زين العابدين وعندما دخل عبدالله أبو العباس الكوفة جاء أبو سلمة واعتذر إليه فقبل عبدالله الاعتذار، ثم تم تدبير قتله فقتل. الترمانيني، ص ٨٤٥.

وهناك وزراء آخرون من الفرس والأتراك:

الحسن بن سهل (٨٥١م ٢٣٦هـ) وهو الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي أبو محمد استوزره المأمون بعد الفضل وتزوج ابنته بوران واشتهر بالأدب والتوقيعات وعاش سبعين سنة. الترمانيني، ص ١٣٣٢. ومن الأتراك الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج (٨٦١م - ٢٤٧هـ). له كتاب البستان والصيد والجوارح وكان وزيراً للمتوكل وقد فضله على أولاده. انظر الترمانيني، ص ٨٤٥.

ومن وزراءِ الملوك من العجم مثل أبي نصر العُتْبي، وأبي نصر الكِنْدي، وأبي الفضـل بن العميد، وأبي القـاسم إسمـاعيل بن عَبَّاد، وأبي إسماعيل الطغرائي، ونِظام المُلك أبي الحسن.

ومن وزراء ملوك المغرب ومصر مثل المنصور بن أبي عامر، وابن حَزْم، وابن زَيْدون، وابن عمار، وأبي بكر بن القصيرة، وأبي عامر بن أرقم، وخاتمهم أبو القاسم بن عطية.

فصــــل
يشتمل على نُبَذٍ من نُكَت لطائف الوزراء ومحاسن ألفاظهم

أبو سلمة الخَلاَّل وزير السفاح كان يقول: خاطَرَ من ركب البحر، وأشدُّ منه مخاطرةً مَن داخَلَ الملوك.

الربيع بن يونس وزير المنصور كان يقول: موائدُ الملوك للتشرُّفِ بها، لا لِلشِّبَع منها.

أبو عبدالله وزير المهدي، من ألطف قوله: خيرُ الكلام ما قَلَّ ودَلَّ، ولم يُمِل.

ومن كلامه: عقولُ الرجال تحت أَلْسِنة أقلامها.

يحيى بن خالد وزير الرشيد، من أظرف كلامه قوله: ما رأيتُ باكياً أحسن تبسُّماً من القلم.

وكان يقول: الصديقُ إما ينفع أو يشفع.

وقوله: المواعيدُ شِباك الكرام، يَصِيدون بها محامدَ الأحرار.

وكان يقول: ما أحدٌ رأى في ولده ما يحبُّ، إلا رأى في نفسه ما يَكْره.

الفضل بن يحيى وزيره أيضاً، قيل: إنه جرى عنده مدحُ أبيه لجُوده، فقال: وما قَدْرُ الدنيا حتى يُمدح من يجود بكلِّها فضلاً عن بعضها.

ويُحكى عنه أنه لما عُزِلَ عن الخاتم بأخيه جعفر، قال: ما انتَقَلَت عني نعمةٌ صارت إلى أخي، ولا غَرَبت عني رتبةٌ طَلَعت عليه.

جعفر بن يحيى وزيره أيضاً، كان يقول: شرُّ المال ما لَزِمَك إثمُ مكسبه، وحُرِمت الأجر في إنفاقه.

الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين، من حُسنِ نظره في الأمور، كان يقول: ما أظنُّ النعمةَ إلا مسخوطاً عليها، أما ترونها أبَداً عند غير أهلِها.

ومن كلامه: إياكم ومخاطبةَ الملوكِ بكل ما يقتضي جواباً، لأنهم إن أجابوكم اشتَدَّ عليهم، وإن لم يجيبوكم اشتَدَّ عليكم.

الفضل بن سهل وزير المأمون، كان يقول: من نَباهةِ العبد شدةُ هيبته لمولاه.

ومن توقيعاته: الأمورُ بتمامها، والأعمال بخواتيمها، والصنائع باستداماتها.

الفضل بن هارون وزير المعتصم، كان يُشَبِّه الكاتبَ بالدُّولاب الذي إذا تعطَّل انكسر، وكان يقول: المسألةُ عن الصديق مسألة.

ومما جرَّبه من الأمور فأخبَرَ به، قوله: ما رأيتُ أقربَ رضى من سخطٍ، ولا أسرع ما بين قرب وبعد من الملوك.

محمد بن الفضل وزير المتوكل، عاتبه المتوكلُ يوماً على اشتغاله بالمَلاهي عن الأعمال السُّلطانية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ مُقاسمة هموم الدنيا لا تَتَأتَّى إلا باستجلاب شيءٍ من السرور.

أحمد بن الخَصيب[٤٦] وزير المنتصر: لما خُلِعَ عليه للوزارة قال: مَثَلي

(٤٦) أحمد بن الخصيب من وزراء المنتصر والمستعين تولى الوزارة مع المنتصر طيلة مدة

كمثل الناقة التي تُزَيَّن للنَّحْر.

وعبيد الله بن محمد بن يَزْداد وزير المستعين، من كلامه: أسرفتُ وما أنصفتُ، وأوجعتُ حتى أجحفتُ.

وعيسى بن فُرُّخذشاه وزير المعتز، كان يقول: القلمُ الرديءُ كالولد العاقِّ.

وسليمان بن وَهْب وزير المهدي[47]، من ألطف كلامه قولُه: عَزْل المودَّة أدق من عزل الخلافة.

وكان يقول: النفسُ بالصديق آنسُ منها بالعشيق.

ولله دَرُّه ما أحسنَ قولَه: إني أغارُ على أصدقائي كما أغارُ على حريمي.

ونَظَر يوماً في المرآة، فرأى شيباً كثيراً، فقال: عيباً لا عَدِمْناه.

ولما وَصَفَه عبيدُالله، قال في حقِّه: هو ولدٌ سارٌّ، كما أنه أخ بارٌّ، ولو وَلَدَ أحدٌ، لكنتُ ذاك.

صاعد بن مخلد[48] وزير المعتمد والموفَّق، كان يقول: النفس أصلٌ لا عِوَض له، والمنع الجميلُ أحسن من الوعد الطويل.

= حكمه وهي سنتان ثم مع المستعين لمدة سنة.

(٤٧) سليمان بن وهب (٨٨٥م ـ ٢٧٢م) هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي. ولد في بغداد وعمل مع المأمون وهو ابن ١٤ سنة، وولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله، فنقم عليه الموفق بالله فسجنه حتى مات. له ديوان رسائل. انظر: الزركلي ـ الأعلام ج٣، ص ٢٠١.

(٤٨) صاعد بن مخلد (٨٩٩م ـ ٢٧٦هـ). من نصارى بغداد، أسلم على يد الخليفة العباسي الموفق، ونال حظوة عنده حتى تلكأ في المال لقتال عمرو بن الليث الصفار فتم الاستغناء عنه. انظر الزركلي ـ الأعلام، ج٣، ص ٢٧٢.

القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد والمكتفي، كان يقول: عقلُ الكاتب في قلمه، والكلامُ الحسن مصايدُ القلوب.

أبـو الحسن بن الفُـرات وزير المقتـدر، كان يقول: ما أريدُ الوزارة إلا لصديقٍ أنفعه، أو عدو أقمَعُه.

علي بن مُقْلة وزير المقتـدر والقـاهر والراضي، كان يقول: إذا أحببتُ تهالَكْت، وإذا أبغضتُ أهلكت، وإذا رَضِيتُ آثرت.

أبو نصر بن أبي زيد وزير الراضي، كان يقول: الهدية تردُّ بلاءَ الدنيا، والصدقة تردُّ بلاءَ الآخرة.

أبو الفضل محمد بن العميد وزير رُكْن الدولة، من محاسن لفظه كتابتُه لبعض الإخوان: نحن يا سيدي في مجلس أُنسٍ، غني إلا عنك، شاكر إلا منك، قد تَفَتَّحت فيه عيونُ النَّرجِس، وتورَّدَت خدود البنفسج، وفاحت مجامرُ الأُترُجِّ، وفَتَقت قارات النارنج، وأنطقت أَلْسنة العيدان، وقامت خطباء الأوتار، وهَبَّت رياح الأقـداح، ونَفَقَت سوق الأُنس، وقـام منـادي الطرب، وطلعت كواكب النُّدمان فحياتي إلَّاما حضرتَ لنحصل منك في جنة الخلد، وتتصل الواسطة بالعِقْد.

أبو القاسم بن عباد وزير فَخْر الدولة، من حِلْمه وسَعَة أخلاقه كان يقول: دارُنا هٰذه خان، يدخلها من وَفا ومَن خان.

ولما سأله ابنُ العميد عن بغداد، فوصفها له بقوله: هي في البلاد، كالأستاذ في العباد.

ومن أفصح كلامه قوله: الضمائرُ الصحاح، أبلغُ من الألسن الفِصاح.

ومن كلامه: وَعْدُ الكريم، أُلزمُ من دَيْن الغريم.

وقال: لكلِّ أمر أجَل، ولكل وقتٍ رجل.

وقال: قد يبلغ الكلام، حيث تقصُر السهام.

وقوله في وصف الحَرِّ: وجدت حَرّاً يشبه قلب الصَّب، ويُذِيب دماغ الضَّب.

وكان يقول: الآمال ممدودة، والأنفاس معدودة.

وقال: المرءُ عُنوان عقله، بل عِيان قدره، ولسان فضله، بل ميزان عمله.

وكان يقول: خيرُ البر ما صفا وكفا، وشرُّه ما تكدَّر وتأخر.

أبـو إسحـاق إبراهيم بن حمزة وزير أبي علي السِّيمَجُوري، من ألطف كلامه قولُه: ينبغي للأصاغر أن يتقدموا على الأكابر في ثلاثة مواطن: إن ساروا ليلاً، أو خاضوا سيلاً، أو واجهوا خيلاً.

أبو القاسم ابن عباد وزير فخر الدولة، كتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رُزِقَ مولوداً، فأجابه بكتابته في رقعة الأخبار: أسعَدَك الله بالفارس الجديد، والطالع السعيد، فقد واللهِ ملأ العين قرةً، والنفس مسَرَّة، والاسمُ عليٌّ ليُعلِيَ الله تعالى ذِكرَه، والكنية أبو الحسن ليُحسِنَ الله تعالى أمرَه، فإني أرجوله فضل جَدِّه، وسعادة جِدِّه، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مئة مثقال، قصدتُ به مقصد الفال، رجاء أن يعيش مئة عام، ويَخْلُص خلاص الذهب الإبريز من نُوَب الأيام.

وحـدثني عون الهمـذاني قال: سمعت أبـا عيسى المنجِّم يقـول: سمعت الصاحبَ يقول: ما استأذنتُ على فخر الدولة وهو في مجلس الأُنس إلا انتقل إلى مجلس الحِشْمة، فأذِنَ لي فيه، وما أذكُر أنه تَبَذَّل بين يدي، أو مازحني قط، إلا مرةً واحـدةً، فإنه قال لي في شجون الحديث: بلغني أنك تقولُ: المذهب مذهب الاعتزال، والنَّيك نيك الرجال، فأظهرتُ الكراهية لانبساطه،

وقلت: وقَلَّدتنا من الجِدِّ ما لا نَفْرُغ معه لِلهُزْء، ونهضتُ كالغضبان، فما زال يعتذرُ إليَّ مراسلة حتى عاودت مجلسَه، ولم يعد بعدها لما يجري مجرى المزح والهزل.

وسمعت الهمذاني الوصي قال: لما توجَّهتُ تِلْقاءَ الرَّي في سفارتي إليها من جهة السلطان، فكَّرت في كلامٍ ألقى به الصاحبَ، فلم يَحضُرْني ما أرضاه، وحين استقبلني في العسكر، وأفضى عناني إلى عنانه، جرى على لساني: **﴿ما هٰذا بشَراً إنْ هٰذا إلا مَلَكٌ كريمٌ﴾** [يوسف: ٣١]، فقال: **﴿إني لأجِدُ ريحَ يُوسُفَ لولا أنْ تُفَنِّدُونِ﴾** [يوسف: ٩٤]، ثم قال: مرحباً بالرسول ابن الرسول، والوصيِّ ابن الوصي.

وكتب الوزير أبو بكر الخُوارَزْمي إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب، وهو: قرأتُ كتابك العَذْبَ المواردِ والمصادرِ، والحلوَ الأوائلِ والأواخرِ، الذي نثره غُرَر، ونظمه دُرَر، ونَشْره مسك وعنبر، يقطر منه ماءُ الكتابة، وتَنْسِمُ منه روائحُ البلاغة، وتهبُّ من ألفاظه رياحُ الخطابة، وينطق عنه لسان الفصاحة، وقد شكرتني أعزَّك الله على قضاءِ حقٍّ لم يسعني إلا أن أقضيَه، وعلى أداء دَيْن لم يجز إلا أن أُوفِّيه، وزعمت أني عرَّفْتُك مَن جَهِلَك، ونَبَّهت لذِكْرك مَن لم يكن انتبه لك، لا وحقِّ الحق، فإنه الواجب على الخلق، ما رأيتُ أحداً لا يعرفك إلا مَن لا يعرف القمرَ طالعاً، والفجر ساطعاً، والبرق لامعاً، والبحر زاخراً، والفَلَك دائراً، وهل يخفى على الناس النهار، أو هل يستتر عَلَمٌ على رأسه نارٌ، وقد شكرتُك على هٰذا الشكر، فلا تَعُدْ لغيره آخرَ الدهر.

وله اعتذارٌ من تخلف المكاتبة:

أتـانـي مَعَ الـرُّكبـانِ ظنٌّ ظننتَـه ... لَفَفْـت له رأسي حياءً من المجـدِ

كتابي إلى مولاي، أطال الله على الزمان بقاءَه، وحفظ على الزمان بهاءَه،

وأدام عِزَّه وعلاءَه، وأراه في أوليائه ما شاءَه، وجعل الأيام إلى مطالبه سفراءَه، والصعود بحاجاته كفلاءَه، والأقران غرماءَه، وأنا من الجَفاءِ عليلٌ، ومن الشربة التي سقانيها ثقيلٌ، وخُماري منها عريض طويل. ذَكَر سيدي أني قطعتُ مكاتبته تناسياً له، وتهاوناً به، وإعراضاً عنه، وجهلاً بما كان في يدي منه، وقد صدَّقته في الأولى، ولم أُسَلِّم له في الأخرى، أما الكتابةُ فقد انقطعت، والمودة ما ضيعت، والعهد بمائه على صفائه، لكن للأيام في قَطْع علائق الحبال، وأسباب الوصال، أسبابٌ بعضها من ذنوب الزّمان، وبعضها من ذنوب الإنسان، وقد أقررت بالتقصير، والتزمت تَبِعةَ الذنب بالمعاذير، فإن كنتُ أسأتُ حين قصرتُ، فقد أحسنتُ حين أقررتُ، وإن عَقَقْت لما لم أقُم لمودَّة سيدي بعناياتها، ولم أرعَها حقَّ رعايتها، فقد أجملتُ لما وَفَّرت عليه سهْمه الفضل، وخلَّيت له في السبق الخطل، وبسطت لسانه بالعدل، فوضع قلمه حيث شاءَ من الملام، وركض عليَّ ما أراد من حِلية الكلام، ولولا أنه وجد بجنابي تراباً، لما تمرَّغ، ولولا أنني أجررته لسان البلاغة، لما أبلغ.

وله استبطاء:

يا أطيبَ الناس ريقاً غير مختَبَرٍ	إلَّا شهادةَ أطرافِ المساويكِ
قد زُرتِنا مرةً في الدهر واحدةً	ثنِّي ولا تَجعلِيها بيضةَ الديكِ[٤٩]

زرتني أيَّدك الله نصف زورة، ثم هجرتني مدة فترة، فليتَ شِعْري ما الذي أنكرتَ من أحوالي، وما الذي عظَّمت من أفعالي وأقوالي، فأُقلع عنه، وأتوب منه. ما أحبُّ لسيدي أن يكون خفيف ركاب الملال، قصير خطوة الوصال، لا يدوم لإخوانه على حال، هذا وهو بالأمس يعلّم إخوانه كيف يَرُبُّ الوُدَّ،

(٤٩) هذان البيتان لبشار بن بُرد، أنشدهما له في «ديوان المعاني» ١/ ٢٤١.

وكيف يحفظ العهد، وكيف يرعى الغيب، وكيف تُراضُ على الوفاء القلوب، وما أتهم عليه غير عيني، فإني قد أصبته بها، فأبعدته بسببها، فمَنْ أَلومُ وأنا المشتكى والشاكي، وبمَ أتداوي وأنا لِمَرْمى الرامي، سقى الله ليلةً لقيت سيدي فيها، فلقد كانت قليلة، إلا أنها كانت جليلة، وقصيرة لٰكن حسرات فقدها طويلة، وأظنني لم أشكر عليها الدهر فسلَبَنيها، ولم أعرف قدَر النعمة عليَّ فأئتدي منها:

قلبتُ لها ظهر المِجَنّ وبطنه فلم ألق من أيامه عوضاً بعدُ

وإني لأخشى أن أتعلم من سيدي السُّلوة، وأن أقارضه الجفوة، فيعديني برأيه، ويغريني بقلة وفائه، فيجمع عليَّ أليم الفراق، ويسلبني كريمَ التلاق، وإنما القلوب عيون تتراءى، ووجوه تتلالى، وتجار تتبايع وتشارى. ومن شعر أبي بكر الخُوارزمي:

ما أثقلَ الدهرَ على من رَكِبَهْ حدثني عنه لسانُ التجربَهْ
لا تحمَدُ الدهر لخيرٍ سلبَهْ فإنه لم يعتمِدْكَ بالهِبَهْ
وإنما أخطأ فيك مذْهَبَهْ كالسيل إذ يسقي مكاناً خرَّبَهْ
والسم يستشفي به من شربَهْ وذا تفضُّلٍ عَلا في مرتبَهْ

أخبرني من رآه بنيسابور وقد كَظَّه الشراب، فطلب فُقاعاً[٥٠] فلم يجده، فقال: لعن بما . . . الفقاع لما طلبتُه . . . هجرت عتيقاً والزلام ونعثلاً[٥١]، فإذا كان يهتفُ بهٰذه الجملة لغير علة، فكيف به مع تفريع العلل، وتوسيع

(٥٠) الفُقاع: شراب يصنع من الشعير له فقاعات.

(٥١) قد تكون هجوت عتيقاً والغلام ونعثلاً، وعتيق: أبو بكر الصديق والغلام: الساقي، ونعثلاً: عثمان بن عفان.

الأمل، بمن يطابقه على كفره، ويوافقه على شرِّه.

ومن محاسن أبي الفضل بن العميد الوزير رُقْعةُ استزارة إلى بعض أصدقائه، وهي قوله: مجلسنا يا سيدي مفتقرٌ إليك، معوِّل في أعتابه عليك، فقد أبَتْ راحُه أن تصفوَ إلا أن تتناولها يُمناك، وأقسم غِناؤه لا طاب أو تَعِيه أُذناك، فأما خدود نارنجه، فقد احمَرَّت خجلاً لإبطائك، وعيون نَرْجسه فقد حدَّقت تأميلاً للقائك، فبحياتي عليك لَمَا تعجَّلت، لأنْه لا يخبث من يومي ما طاب، ويتكرَّر فيه الأصحاب، وإنما نحن وحياتك في مجلس راحُه ياقوت، وكُوب نارنجه ذهب، ونرجسه دينار ودرهم، يحملهما زبرجد، وألْسنة العيدان تخاطب الظرفاء بهلُمَّ إلى الأفراح، لكنَّا لغيبتك كعِقْدٍ غُيِّبت واسطتُه، وشباب أُخذت جِدته، وأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء إلى انحداره، والقمر إلى مداره، صِرْنا - أيَّد الله مولاي - إلى بستان كأنه من خلقه خُلِق، ومن فلقه سُرق، فرأينا أشجاراً تميلُ فتذكره ترنُّح الأحباب، وقد تداولته أيدي الشراب، وأنهاراً كأنَّها من يد مولاي تسيل، أو من راحته تفيض، فحضرنا فلان، فعلا نجمنا، وحمدنا أمرنا، . . وتسهَّل طريق الخير لنا، فلما دَبَّت الكؤوس فيهم دبيب البُرْءِ في السَّقَم، والنار في الفحم، فإن رأى مولاي أن يجعل أُنسَنا غداً عنده، فقلت: سمعاً، ولم استَجِز لأمره دفعاً، وألتمس منه الحضور إلى المجمع ليقرب علينا متناول البدر لمشاهدته، ولمس الشمس بمطالعته، فإن رأى أن يشفعني أسعفني إن شاء الله.

فصل من كتاب آخرٍ

علَّقتُ هٰذه الأحرفَ على حافَةِ حوض ذي ماء أزرق، كصفاء ودِّي لك، ورِقة قولي في عتابك، ولو رأيته لأُنْسيت أحواض مارب، ومشارب أم غارب، وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت، فسال دماؤها، وضعف فبقي دَماؤُها، وشامتني أشجار كأن الحُور أعارتها أثوابها، وألبستها أبرادها، وحضرتني نارنجات ككُرَات من سَيرٍ ذُهِّبت، أو ثُدِيِّ أبكارٍ حُلِّقت، وقد تبرَّم بي الحاضرون لطول الكتاب، فوقفت وكففت، وصددت عن كثير مما له تشوَّقت.

وكان المأمون جالساً، وبين يديه أحمد بن يوسف الكاتب، وقد وَرَد عليه كتاب عمرو بن مَسْعَدة، فكرَّرَ النظر فيه، وأُعجب به، ثم رمى به إلى أحمد، وقال: انظر إلى البلاغة في الإيجاز. فوَجَد فيه: كتابي إلى أمير المؤمنين، أدام الله اقتدارَه، وأجنادُه في الانقياد وجميل الطاعة، على أحسن ما يكون عليه جندٌ تأخرت أرزاقُهم، وانقياد حُماة وكُفاة تراخَتْ أُعطياتهم، واختلت لذلك أحوالهم، فرأيُ أمير المؤمنين في العناية بأمرهم، والتفضل عليهم. فقال المأمون: استحساني إليه بعثني على أن آمر لهم بعطاء سبعة أشهر. ثم وَقَّع لهم بذلك.

وكتب عمرو شافعاً إلى والي واسط: كتابي إليك واثقٌ بمن كُتِب إليه، معني بما كُتِب له، وليس يضيع من كان محله بين الثقة والعناية.

وقال عبد الحميد: العلم شجرة ثمرُها الألفاظ، والفكر بحر جوهره الحكمة.

وقال جعفر البَرْمَكي: البلاغة والبيان أن يكون الكلام محيطاً بالمعنى، مجلّياً عن المغزى، مخرجاً عن الشركة، غير مستعان عليه بالفكرة.

وكـان الناس يشترون رسائل جعفر بن يحيى وتواقيعه بالأثمان الكثيرة، ويتنافسون فيها، وقد قيل في أولاد يحيى البرمكي: وهم بيت الفضل والسياسة أولاد يحيى أربع كالأربع الطبائع فهم إذا اختبرتهم طبائع الصنائع، وكان كلُّ واحـد منهم قد تميَّز بفضله، فالبـلاغـة في جعفـر، والسماحة في الفضل، والشجاعة في موسى، والجمال في إبراهيم، وكلُّهم سَمْحٌ جَوادٌ.

ويُحكى أن المنصور لما بَعَثَ إلى أبي مسلم يدعوه، وقد أحسَّ كل واحد منهما بالتغيير، كتب إليه معتذراً، وقال في كتابه: إن حكماءَ الفرس تقول: أخوَفُ ما تكون الوزراءُ، آمنُ ما تكون الملوك، وإنني قد مَهَّدْت لكم البلاد والعباد، فإن خراسان تحتاج إلى نَظَر وضبط. فلم يَزَلْ يعاوده ويراسله حتى جاءَه فقتله، والقصة مشهورة في قتله.

قال بُزَرْجُمَهْر: أَسوَسُ الملوك يحتاج إلى وزير، وأشجع الناس يحتاج إلى سلاح، ومَثَـل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسداً، مثل الماء الصافي العَذْب فيه التماسيح.

وقال بَزرويه: لا تغتَرِرْ بكرامة الأمير إذا غشَّك الوزير. أخذه ابنُ العميد فقال:

هيهـاتَ لم تَصـدُقْـكَ فِكرتُك التي	قد أَوهـمـتـكَ غِنىً عن الـوزراءِ
لم تُغْنِ عن أحـدٍ سمـاءٌ لم يَجِـدْ	أرضـاً ولا أرضٌ بغـير سمـاءِ

وكان جعفر البرمكي لا يجلس إلا في طرف إيوانه، فقيل لأخيه في ذلك فقال: الأشرافُ في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقُدْرة، وينالهم من يريدهم بالحاجة.

وقال عبيدالله وزير المهدي: البلاغة ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة.

وقال الصاحب: أبلغُ الكلام ما سبق معناه لفظَه.

وقد أحسن البُحْتُري في قوله:

حُزْنَ مستعملَ الكلامِ اختياراً وتجنَّبْنَ عنفة التعقيدِ[٥٢]
ورَكِبن المعنى القريبَ فأدرَكْـ ـنَ به غايةَ المرامِ البَعيدِ[٥٣]

ومن محاسن لطائف الوزراء:

قال الفضل بن يحيى: ما قَدْرُ الدنيا حتى يُمدَحَ من يجود بكلها، فضلاً عن بعضها.

وقيل: رأى المهدي في قصره حُزمة خَيزُران، فقال للفضل: ما تلك؟ فقال: عروق الرمان يا أمير المؤمنين. لم يُرِد أن يقول «الخيزران» لموافقته اسمَ أم الرشيد.

وقيل لجعفر بن يحيى: لا خير في السرف. فقال: لا سرفَ في الخير.

وكان القاضي أحمد بن أبي دُواد يشتغل بأمور الخلفاءِ، ويضاهي الوزراء، وكان يقول: ما كلَّمتُ المعتصم والواثق قط بحضرة محمد بن عبدالملك الزَّيات في حاجةٍ، خوفاً أن يتعلَّم مني لطائف التأتِّي لطلب الحاجات من الملوك.

قال ابن الفُرات: أربع من تعوَّدَهن لم يصبر عنهن: الشمع والقد[٥٤] والخيش والثلج.

---

(٥٢) في «الديوان» ١/٦٣٧: ظُلمة التعقيد.

(٥٣) في «الديوان» وركبنَ اللفظ.

(٥٤) والند على الأرجح وهو الطيب.

أهدى الصابىء إلى الوزير أبي محمد المُهَلَّبي دَواةَ ابنوس ومرفعاً لها، وكتب إليه، قد خدمتُ سيدنا بدواة تداوي مرضى عفاته، وتروي قلوب عداته، على مرفع يُؤْذن بدوام رفعته، وارتفاع النوائب عن ساحته.

ومن تواقيع الوزراء وفصولهم:

كتب عامل متعطل إلى الصاحب بن عبَّاد، تتضمن استطلاع رأيه في تصريفه، فوقَّع عليها: التصرف لا يُلتمس بالتكلف، إن احتجنا إليك صرَّفناك، وإن استغنينا عنك أحسنَّا إليك وصَرَفْناك.

ووقَّع الميكالي في رُقعة متعتِّب شاكٍ: النعمةُ عروس، مهرها الشكرُ، وثوب صَوْنُه النشر.

وقيل: إن الصاحب وقَّع رقعة بنقطة، وفي رقعة بأَلِفٍ، وذلك أنه التمس منه بعض القضاة شيئاً، ثم كتب في آخر رقته • فإن رأى مولاي يفعل ذلك فَعَل. فوقَع قبل فعل أَلِفاً، فصار: أفعَل، فخرج التوقيع ولم يشعر به، ثم رجع فقال: قد وقَّعت، حتى فطن له، وأما النقطة، فإنه وضعها في رقعة على لفظة «يفعل» فنقط (الياء) من فوقها، فعادت نوناً.

ووقَّع بعض الوزراء في مؤامرة ببذل الأمان، وكتب لبعض المعاندين: يؤمَّن، ولا يؤمَّن.

وله في الاعتذار عن هاربٍ: من خشن مقره، حسن مفره.

ورُفع إلى الصاحب أن رجلاً غريب الوجه يدخُل داره، ويسترق السمع، وينقل الأخبار، فوقَّع عليها: منزلنا خان، يدخله من وفى ومَن خان.

ووقَّع بعضهم إلى وكيل له على عمارة بساتينه وضياعه: استكثر من شجر

الفرصاد[٥٥]، فإن خشبَها حطب، وثمرها رُطَب، وورقها ذهب.

وكتب ابن الزيات إلى ابن طاهر: قطعتُ عنك كتبي قطع إجلالٍ، لا قطع إخلالٍ.

وكتب يحيى بن خالد في الاستبطاء والاقتضاء، ولم نسمع بأوجزَ منه: في شكر ما تقدم من إحسانك، شاغلٌ عن استبطاء ما تأخر منه.

واشتكى إليه رجل من عامل واسط مرة بعد مرة، فوقَّع إلى العامل: اكفني أمره، وإلا كفيتُه أمرَك.

وقَّع فخر الملك أبو غالب وزير ابن بُوَيه في رقعة: سماع السعاية قبيحة، وإن كانت صحيحة، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوكٍ في مستور، ولولا أنك في خِفـارة شيبك، لقابلتك بما يقتضيه فعلك، ويرتدع به مثلك، فتوَقَّ ويحك العيبَ، فإن الله أعلمُ بالغيب، فطوبى لمن شغله ما يعنيه عما لا يعنيه. ثم دفعها إلى الحاجب، وقال له: اخرُجْ إلى الباب، ونادى باسم صاحبها، فإذا ظَهَر، اقرأها على الناس، ثم أنفذها إليه. ففعل ذلك، فضجَّ الناس بالدعاء له، والثناء عليه.

رُفعت إلى يحيى بن خالـد البَرْمَكي رسالة ركيكة العبارة، بخطٍّ مليح، فوقَّع: الخطُّ جسم رُوحُه البلاغة، ولا خير في جسم لا روحَ فيه.

وكـان بعض أولاد المتصـرفين قد قصد عبيدالله بن سليمان الوزير[٥٦]،

---

(٥٥) التوت.

(٥٦) عبيدالله بن سليمـان الوزير (٨٤٠ - ٩٠١م) (٢٢٦هـ - ٢٨٨هـ). هو عبيدالله بن وهب الحارثي أبو القاسم وزير الخليفة المعتمد العباسي ثم المعتضد وهو وزير وابن وزير ووالد وزير القاسم بن عبيدالله قال فيه ابن المعتز:

هذا أبـو الـقـاسـم في نعشـه قومـوا انـظروا كيف تسير الـجبـال =

وواصل رِقاعه إليه يطلب منه الأعمال والأشغال والأقطاع، وكان فيه تخلُّف وجهل، فلما ألَحَّ عليه وأبرمه، وَقَّع في ظهر بعض رقاعه: يا هٰذا، قد أكثرتَ فيما تلتمس، ولستُ أعرفك بالكفاية فأُقلِّدك الأعمال، ورقاعك هٰذه تدلُّ على قدر ضياعتك، وتمنع من الاستنامة إلى كفايتك، فردُّك أسهل من تقليدك، وقد رَسَمْنا لك بكذا وكذا فاستَعِنْ به في بعض المصارف، واشغَلْ نفسك بالتدرب على المعارف.

ورفعت إلى جعفر بن يحيى رقعة سعاية تتضمن: أن فلاناً دعاني إلى طعامه، فأحضر من آلات الخاصة وطعامهم ما يدلُّ على عظم الحال، وكثرة المال. فوقَّع فيها: لم نحمَدْكَ على نصيحتك، وذَمَمْناه على سوء اختيار الإخوان.

ووقَّع يحيى بن خالد في تهديدِ مَن شُكِي إليه ظلمُه: بئس الزادُ إلى المعاد، ظلمُ العباد.

ومن التواقيع المتقدمة في ذٰلك: قد كَثُر شاكوك، وقلَّ شاكروك، فإما عدلتَ، وإما اعتزلتَ.

ووقَّع الفضل بن سهل في رقعة خائفٍ من عاقبة أمرٍ يتولاَّه: ليس عليكَ بأس، ما لم يكن منك يأس.

وكتب صاحب أرمينية إلى المأمون: أن الجند قد استطالوا عليه، وشَغَبُوا في طلب أرزاقهم، حتى كسروا أقفال بيت المال فانتهبوه، فوقَّع عليه: اعتَزِلْ عملَنا. فلو عَدَلْت لم يَشْغَبوا، ولو قَوِيت لم يَنْهَبوا. ثم قلَّد أمرهم مَن أحسن أدبهم، وأوصلهم حقَّهم.

= الزركلي ـ الأعلام، ج٤، ص ٣٤٩.

ووقَّع ذو الكِفايتين في رقعة من الخَزَف عن السلطان، وجاهر بالعصيان؛ **﴿ألَم نربِّك فيناً وليداً، ولَبِثْتَ فينا من عمرِكَ سنينَ، وفعلتَ فَعْلَتَك التي فعلتَ وأنتَ من الكافِرين﴾**[٥٧].

ووَقَّع الصاحب في كتابٍ استَحسَن بلاغته: **﴿أفسِحرٌ هٰذا أم أنتم لا تُبْصِرونَ﴾**[٥٨].

وأمـا التـواقيع بألفـاظ القُـرآن وأحاديث النبيِّ عليه السلام فكثيرة جداً، استعمله العلماء الفضلاء، وهو حَسَن في الجد من الأمور، محظور في المزح والمطايبة، وقد كانت الصحابةُ والصدر الأول يُصَدِّرون كتبهم بآيات القرآن، ويذكـرون منـه ما يتعلَّقُ بالـوعـد والوعيد، والنهي والأمر، إلى غير ذٰلك من الأغراض، ولو تتبَّعْنا ذٰلك لطَال الكتاب.

---

(٥٧) هي الآية ١٩ من سورة الشعراء.

(٥٨) هي الآية ١٥ من سورة الطور.

فصل في العفو وما يجري مجراه

قال الله تعـالى: ﴿والكَـاظِمِينَ الغَيْظَ والعـافِينَ عَنِ النّـاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وقال: ﴿ولَمَنْ صَبَرَ وغَفَر إن ذٰلكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. فأحقُّ الناس بالعَفْو، مَن كان أقدر على العقوبة.

قال إبراهيم بن المهدي للمأمون عند ظَفَره به: ذنبي أعظم من أن يُحيطَ به عذر، وعفو أمير المؤمنين أعظم من أن يتعاظَّمَه ذنبٌ. فعفا عنه.

وقَّـع الفضـل بن صالح في رقعة نائب من جُرْم: التوبة للذنب كالدواءِ للمريض، فإن صحَّت توبته، كمَّل الله شفاءَه، وإن فسدت نيتُه، أعاد الله عليه داءَه، ولا ينبغي للوزير أن يجسُرَ على سفك الدماء، ولا حطِّ الأقدار، إلا من بعـد تحقق الاستحقاق، ومن استعجل في العقوبات ندم، ومن اتبع أحكام الشـريعـة سَلِم، ومن ظَلم ظُلم، ولا ينبغي للوزير أن يعـاقب بالتخليد في السجن، فإنه نوع من الإماتة.

وقيل: إنـه لِيمَ بعضُ الـوزراء في طول سجن بعض الجناة، فقال: به أمراض نفسانية خبيثة، لم ينجح فيها أدوية العقوبات، فكان السجن ردعها وكفَّها.

ولا ينبغي أن يُعلنَ الوزراء بعقوبة من لم يعلن بذنبه، فتكثر اللائمة، بل يضع لذنب السرِّ عقوبة السر، ولذنب العلانية عقوبة العلانية، إلا في الحدود المأمور بأفعالها، ولتكن عقوبته للأدب لا للغضب. وقد ذكرتُ بعض ما ينبغي

من ذلك في كتابي «الملوكي» المؤلَّف للملك خُوارزم شاه، وينبغي للوزير أو مَنْ يَنُوب عنه أن يتفقَّدَ حال أهل السجن في كل شهر. فيخرج منه مَنْ قد حصل تأديبه وزَجْره، ويتلطَّف في إخراج مَنْ خَفَّ ذنبه، أو كان له غريمٌ يمكن رضاه، ومَنْ كان فقيراً، قام بموؤنته من بيت المال.

فصل لابن ثوابة من كتاب إلى والٍ

أما بعدُ، فإن النعمة عند أمير المؤمنين توجب عليه الشكر، أو تقضي عنه اعتماد ما أكسبته المثوبة والأجر، وقد علمتَ حال أهل الجرائم المحبسين في السجون بأمصار عملك، وقد أظلَّهم من الشتاء والبرد إلى ما هم فيه من الضَّنْك والجهد، وهم، وإن كانوا ذوي جرائم قدَّموها، وجنايات اقترفوها، وأحداث ارتكبوها، فإن الأمير المؤمنين رأفةً بهم، مع ما أقامه من الواجب عليهم، وقد أمرك بإحصاء عمنْ في الحُبوس من أرباب الجرائم الذي لا يَسُوغ إخراجهم، ولا لهم مال ينفقونه، فتثبت أسماءهم، وتبتاع لكلِّ رجل منهم قميصاً وسراويل وقَلَنْسُوة، وللمرأة رداءً وخماراً وقميصاً، وإحضار آمنين من جهة القاضي، عارفين بذلك، مباشرين له، وابعث كتابك وكتاب القاضي بتفصيل ذلك وصحته إن شاء الله.

ووقَّع بعض الوزراء في رقعة والي المظالم: لا تُطِل سجن ذوي الجرائم سوى مَنْ تكررت جنايته، وأُيست توبته، واتَّصل شره، ولم توجب الشريعة قتله، فيُخَلَّد في السجن، ويُمان ويُعال، إلى أنه يقتضي المصلحة بأن يقال.

ولما ولي المهدي، تَفقَّد السجن وأطلق أكثر مَنْ كان فيه، فقيل له: إنك تزدري بذلك على أبيك، وتقصد توبيخه، فقال: لا، إن أبي حبسهم بالذنوب، وأنا أُطلقهم بالعَفْو.

وقد يدهَمُ الملك حادثٌ من أمر الأعداء والخوارج، فيكون من الصواب

تقديم أهل السجون في ذلك المهم، كما فعل كثيرٌ من الملوك الأُوَل، فإنهم كانوا يقدمونهم في الأخطار والمخاوف، كما فعل كسرى حين قصده سيف بن ذي يَزَن[٥٩] يستنجده على الحبشة حين تغلَّبوا على بلاد اليمن.

ومما قيل في التهنئة بالخلاص من السجون والنكبات، قولُ أبي محمد بن المهلَّبي من قصيدة:

وما كنتَ إلا الشمس أخفى ضياءَها | كسوفٌ عليها ثم زال كسوفُها
وكانت كأغماد السيوف حبوسُكم | فأطلقتُم عنها وسُلَّت سيوفُها

ولأبي عباد البحتري:

وما كان ذاك الحبسُ إلا غَبايةً | بدا طالعاً من تحت ظُلمتِها البدرُ
فلا نَنْسَ نُعْمى اللهِ فيك فحظَّنا | أَضَعْنا وإنْ نشكُرْ فقد وجبَ الشكرُ

---

(٥٩) سيف بن ذي يزن (٥١٦ ـ ٥٧٤م ١١٠ ـ ٥٠ ق هـ) هو سيف بن ذي يزن اصبح ابن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري من آخر ملوك العرب القحطانيين. ولد في صنعاء وساهم فيما بعد بإخراج الأحباش من اليمن بالتعاون مع الفرس وبعد إخراج الأحباش تم ضم اليمن إلى فارس ثم قتل سيف بن ذي يزن على أيدي الأحباش. الزركلي ـ الأعلام، ج٣، ص ٢١٨.

فصل في استعطافات الملوك والوزراء وطلب العفو والرضى وما يحسن من ذٰلك ويحمد

أَمر عبدُ الملك بن مروان بقتل رجلٍ مذنب، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك أعزُّ ما تكون في نفسك، أحوج ما تكون إلى ربك، فاعفُ عني له، فإنك به تُعان، وإليه تعود، فعفا عنه.

ويقال: إن بعض الملوك قبض على قوم من أعدائه، فحبسهم، وبالغ في تعذيبهم، فكتب إليه بعضهم بهذه الأبيات:

رعاك الذي استرعاك أمرَ عبادِه ... وكافاك عنا المنعمُ المتفضِّلُ

تعاقبُ تأديباً وتعفو تطوُّلاً ... وتجزي على الحسنى وتعطي فتجزلُ

فلما قرأها أدركته الخشيةُ، فأطلقهم وأحسن إليهم.

وكتب عامل مقبوض عليه إلى ابن مُقْلة: نحن في الصحبة كالنِّسرين، لٰكنني واقع، وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع.

ويُحكى أن أبرويز الملك غضب على بعض أصحابه لجُرْمٍ عظيم، وحبسه وضيَّق عليه، ثم سأل عنه بعد مدة: هل يتعهَّدُه أحد من أصحابه؟ فقال السجّان: لم يتعهَّدْه سوى الغهليد المغنِّي، فإنه يُوجِّه إليه كل يوم بسَلَّة فيها طعام. فأحضره أبرويز[60]، وقال له: ويلك، غضبتُ على فلان لعظيم جرمه،

---

(٦٠) أبرويز: هو كسرى خسرو بن هرمز ٦٢٧م - ٦هـ. تولى الملك سنة ٥٨٩م، ساعده

وتجافاه الناس لذٰلك غيرك، فإنك تصله وتتعهده، فقال: أيها الملك، إن البقية التي بقيت له عندك حتى أقرَّت روحه في بدنه، بقيت له عند عبدِك أن يَقُوته برغيفين أو سلة من طعـام، فقال: أحسنت وأصبت، وقد وهبتُ لك جُرمَه. وتقدير الكلام: إنك لما عدلتَ عن قتله إلىٰ حبسه، دلَّ علىٰ أنك أردت بقاءه، وقد ساعدتك في هٰذه الإرادة.

وقـرأتُ في كتـاب «المجلس» للصـابىء: لما قَدِمَ عبيدالله بن سليمان الـوزير من الجبـل في أيام المعتضد، صار إليه أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفُرات، فوجداه يميز أعمالاً وكتباً، وبين يديه كانون نار يحرق فيه ما لا يحتاج إليه، فدَفَع إلى أبي العباس إضبارة ضخمة، وقال: يا أبا العباس، هٰذه وقائع وسعايات بك وبأخيك من جهة أسبابك وثقاتك، وَرَدَتْ عليَّ فخبأتها لك، لتعـرف من ينبغي أن يُحترس منه، وتعامل كل واحد بما يستحقه، فأكثر أبو العباس من شكره والدعاء له، وبدأ أبو الحسن في قراءة الأوراق، فانتهره أبو العباس وقال: لا تقرأ شيئاً منها. وأخذ الأوراق من يده فطرحها في النار، وقال: ما كنت لأُقـابـل نعمـة الله تعالى بما وهبه لي من تفضيل الوزير وإحسانه، بالإساءة إلى أحدٍ يكون هو سببه. ثم نهض، وقال الوزير عبيدالله: ما أردتُ التفرُّدَ بمكرُمة، إلا وسبقني إليها أبو العباس وزاد عليَّ فيها.

وما أحسنَ قولَ إبراهيم بن المهدي حين استعطف المأمون واعتذر إليه، فقال:

= الإمبراطور البيزنطي موريس بعد أن خلع أباه هرمز. الترمانيني، ص ١٩٨.

والغهليد هو المغني عند الملك ذكره الشاعر البحتري في سينيته الشهيرة ولفظه (البَلْهَبذ)

وتَوَهَّمْتُ أنّ كِسرَى أبرَوِيـ ... زَ مُعاطيَّ والبَلْهَبَذ أُنْسي

اللهُ يعــلَمُ ما أقــولُ وإنــهــا جهــدُ الألِــيَّة من منــيبٍ راجــعٍ
ما إن عصيتُــك والغُــواة تمــدُّني أســبــابــهــا إلا بنــية طائــعٍ
فعــفــوتَ عن من لم يكن عن مثلِه عفــوٌ ولم يشفَــعْ إليك بشــافــعٍ
إلا الـعلو عن العقــوبــة بعــدَمــا ظَفِــرَتْ يداك بمستكينٍ خاضــعٍ
نفــسي فداؤُك إذ تضــلّ معــاذِري فألــوذُ منك بفضلِ حلمٍ واســعٍ
ورحمتَ أطفــالاً كأفــراخِ القــطا وحــنينَ والــدةٍ كقــوس الــنــازعِ

وللشريف الزِّيدي:

أجــري على الــدهــرِ فيمــا بقيت بقــيت فمــا قد مضــى قد مضى
فلســتُ أُبــالــي بســخط الــزمــانِ وأنــت ترانــي بعــينِ الــرضــا

وللصابىء في إشهار العفو:

ومن الـظلمِ أن يكــون الرِّضى سراً ويبــدو الإنــكــار وسطَ الــنــادي
ومــن الــعــدل أن يُشــاع بهــذا مثــلُمــا شاع ذاك في الأشــهــادِ
كي يُســرَّ الــصــديقُ بالعفــو عني مثــلمــا سُرَّ بالــنــكيرِ الأعــادِي

وما أبدع قولُ السلامي في الاعتذار:

تبــسَّــطْنــا على الآثــام لمــا رأينــا العفــوَ من ثمــرِ الــذنوبِ

وأُحضِر رجل عند المهدي وهو مقيّد، فجعل يعدِّدُ عليه ذنوبه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعتذاري بما نسبتني إليه يردُ عليك حيث أقول: لا ذنبَ لي، وإقراري بما يعدِّدُ أمير المؤمنين يلزمني ذنباً لم أجنه، ولٰكني أقول:

لئن كنتَ ترجــو في العقــوبــةِ راحــةً
فلا تزهَــدَن بعــد المعــافاةِ في الأجــرِ

فصل في بعض مدائح الوزراء

قال عمر الربيب في خالد البرمكي:

حَذا خالــدٌ في جُودِه حَذْوَ برمــكٍ ... فمــجــدٌ له مســتــطرفٌ وأَثِــيلُ
وكــانَ بنــو الأعــلام يُدعَــون قبلَه ... بإســمٍ على الإعــدام فيه دلــيلُ
يُســمَّــون بالــسُّؤال في كل موطــنٍ ... وإن كان فيهــم نابــةٌ وجــليلُ
فســمَّــاهــم الــزوارَ ستــراً عليهــم ... وذلــك من فِعــل الــنِّبَــال نبيــلُ

أصل ذلك أن خالداً البرمكي حضر بمجلسه جماعةٌ من الأدباء، فحضَر سائلٌ فقال بعضهم: انظروا لهذا السائل فقال خالد: الأَوَلى تسميتُهم بالزوار، لا السُّؤال.

وقال محمد بن مُناذِر:

أَتتهــا بنــو الأمــلاكِ من آل برمــكٍ ... فيا طِيبَ أخبــارٍ ويا حسنَ منــظرِ
لهم رحلةٌ في كل عام إلى العِــدى ... وأخــرى إلى البيت العتيقِ المــطهرِ
إذا نزلــوا بطحــاءَ مكــةَ أشــرقت ... بيحيى وبــالفضــل بن يحيى وجعفرِ
فمــا خُلْقَــتْ إلا لجِــودٍ أكــفُّــهــمْ ... وأقــدامُــهــم إلا لأعــوادِ منــبــرِ

ولــه:

سألتُ النَّــدى هل أنت حرٌّ فقال لا ... ولــكــنــني عبــدٌ ليحيى بن خالــدِ
فقــلتُ شراءً قال لا بل وراثــةً ... تنــاقــلَني من والــدٍ بعــد والــدِ

ولأبي الحَجْناء نُصيب:

عنـدَ الـملوكِ مضـرَّةٌ ومنـافـعُ وأرى البـرامـكَ لا تضـرُّ وتنفـعُ
إن العـروقَ إذا استسـربهـا الثَّرى نَضِـرَ النبات بهـا وطـاب المـزرعُ
فإذا جهلتَ من امـرىءٍ اعـراقَـه وقَـديمَـه فانـظر إلـى ما يصنَـعُ

وقال سَلْم الخاسر:

سأرسـلُ بيتـاً قد وسـمتُ جبينَـه يقـطعُ أعنـاقَ الـبيوتِ الشـواردِ
أقـام النَّـدى والجـودُ في كل منزلٍ يقيمُ به الفضـلُ بن يحيى بن خالدِ

وقال آخر:

لِلنَّـاس والـجـودِ حدٌّ وأرى آل يحيى ما لهـم في الجـودِ حَدُّ
يفـعـل الـنـاسُ إذا ما وَعَـدُوا وإذا ما فعـل الـفـضـلُ وعـدُ

وللغَزِّي في العلاء بن مكرم:

يثني خطوبَ الـدهـر عن إقليمِـه قلمٌ جرى يوم الهبـاتِ فمـا انثَنى
ومـن الـعجـائبِ أن صُلب نَوالِـه متحمـلُ ثِقَلَ الـرجـاءِ ومـا انحَنى

ولأبي الفتح البُسْتي:

ظلُّ الـوزيرُ مَقـيلُ كلِّ سعـادةٍ يجـدُ الـمُـؤمِّـلُ في ذُراه مُنـتَشـا
مَن شاءَ منـشـأ غبـطةٍ وسـعـادةٍ بلقـائـهِ يُدْرِكْ ويلحَـقْ ما يَشَـا

ولـه:

إذا دَهـى خَطْبٌ فآراؤه تُغـنـي عن الـجـيشِ وتـسـريبـهِ
وإن دجـا ليلٌ بدا نُورُه للركـبِ نجـمـاً فهـي تسـري بهِ

ولأبي بكر القُهستاني :

دعيتَ نظامَ الملك فاتَّســع الملكُ ... ودام على أعــداءِ دولـتــك الهُلْكُ
وأغـــرقَ بالــطوفــان كُلَّ معــانــدٍ ... ودان لك الجُـودي واستـوتِ الفُلْكُ

ولأبي سعد الرُّسْتمي في الصاحب:

وَرِثَ الــوزارة عن أبـيهِ وجــدِّه ... موصــولــةَ الإســنــادِ بالإســنــادِ
يروي عن الــعــبــاس عبــادٌ وزا ... رتــه وإســمــاعــيلُ عن عبَّــادِ

ولأبي الفتح البُسْتي في أبي نصر العُتْبي:

شرفٌ كعِقْــدِ الــدرِّ واصـل بعضُـه ... بعـضــاً كأنبــوب الـقَنــا المُنــآدِ
وعُــلًا كأيامِ الــســنــين ترادفـت ... أيامُــهــا بتــكــررِ الأعــيادِ

ولغيره، وتروى له:

أبــلغْ مقــالِــي كُلَّ عافٍ مجنَّـدِ ... ومــؤمِّــل في قصــده أن يهتــدي
عَرِّج على المـولى الكبير المـرتَجَى ... صدرِ الــوزارة أحمــدَ بن محمــدِ
فروَاؤه ملء الــعــيون وحــبُّــه ... ملءُ الــقــلوب وسَيْبُــه ملءُ الـيدِ
فاثْــنِ الــرجــاءَ إلــى عُلاه فإنَّــه ... بدرُالدجى شمسُ الضحى غيثُ الصَّدِي
لا زال في يوم أغــرّ مُبــشِّــرٍ ... بســعــادةٍ غراء تطْلُعُ في غدِ
ليقــيمَ كل مُؤَوَّدٍ ويُنــيمَ كـ ... ـل مســهــدٍ ويَضــمَّ كل مبــدَّدِ

ولأبي الفرج الببغاء في أبي نَصْرٍ سابور وزير بهاء الدولة بن بُويه وقد أغرق فيه وبالغ:

لمـتُ الــزمــانَ على تأخيرِ مطَّلبي ... فقــال ما وَجْـدُ لَوْمي وهــو محــظورُ
فقـلتُ لو شئتَ ما فاتَ الغِنى أمَلي ... فقــال أخــطأتَ بل إن شاءَ سابــورُ

عُذْ بالوزير أبي نصرٍ وسل شططاً　　واسْرِف فإنك في الإسراف معذورُ
فقد تقبَّلتُ هٰذا النُصح مِن زمنٍ　　والنصحُ حتى من الأعداءِ مشكورُ

ولأبي محمد الخازن يمدح الصاحب:

هذا فؤادك نهباً بين أهواءِ　　وذاكَ رأيك شُورى بينَ آراءِ

ومن مديحه:

لو أن سَحْبان باراه لأسْحَبهُ　　على خَطَابته أذيالَ فأفْاءِ
أرى الأقاليمَ قد ألقت مقالِدَها　　إليه مستسلماتٍ أي إلقاءِ
فساس سبعتها منه بأربعةٍ　　أمر ونهي وتثبيتٍ وإمضاءِ
نعم تَجنَّب «لا» يومَ العطاءِ كما　　تجنَّبَ ابنُ عطاءٍ لَثْغَة الراءِ
أُطرَى وأطرب بالأشعار أُنشئها　　أحسِنْ ببهجةِ إطرابي وإطرائي
ومن نتائج مولانا مدائحُه　　لأن مِنْ زَنْده قدحي وإيرائي
فخُذْ إليك ابنَ عبَّاد مُحَبَّرَة　　لا البحتريُّ يُدانيها ولا الطائي

تمَّ الكتابُ بعون الله وتوفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد. وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين، آمين والحمد لله رب العالمين.

فُرِغ من كتابته يوم الجمعة المبارك، ١٨ شهر رجب/ سنة ١٣٠٠هـ.



استـــدراك

بعد أن انتهيت من تحقيق هذا الكتاب ودفعه إلى الطباعة وتوليت التدقيق للمرة الثانية عثرت على كتاب مطبوع في مطبعة العاني ببغداد عام ١٩٧٧م، وبنفس العنوان وتحقيق حبيب علي الراوي والدكتورة ابتسام مرهون الصغار وبعد أن قرأت الكتاب لاحظت أن الباحثين اعتمدا على نسخ أخرى غير التي توليت تحقيقها وهي النسخ التالية:

١ـ نسخة مكتبة فيض الله رقم ٢١٣٣ منها نسخة في معهد المخطوطات العربية وهي في أربعين ورقة نسخت يوم ١٤ رمضان المكرم من سنة ١٠٢٨هـ، وهي التي اعتمد عليها الباحثان وقالا عنها أنها أقدم النسخ وصورت من معهد المخطوطات العربية.

٢ـ نسخة مكتب راغب باشا بتركيا أيضاً وكتبت سنة ١١١٢ بخط يوسف ابن محمد بن الوكيل الملوي وقد نسخها للباحثين الأستاذ كمال بهاء الدين.

٣ـ نسخة أمانة خزينة وقد تم نسخها بتاريخ ١٨ شهر رجب من سنة ١٣٠٠هـ (صورت في معهد المخطوطات العربية).

٤ـ نسخة مكتبة غوطا برقم ١٨٨٦ وعليها تملك الفقير أحمد الصديقي ثم ملكها ابنه من بعده.

هذه النسخ السابقة كما يقول الباحثان منقولة عن نسخة واحدة، فالفروق بينها بسيطة بزيادة حرف أو نقصان آخر، إلا في مكان واحد أشار إليه الباحث

في النسخة الأولى والثانية.

يختلف المخطوط الموجود لدينا عن الكتاب المشار إليه أعلاه في أمور بسيطة بزيادة حرف أو نقصان آخر ما عدا في أماكن محددة هي:

في الصفحة ٤٩ وبعد كلمة وسمعت .... إلى آخر الفصل. تُوجد في هامش الكتاب على أساس أنها زيادة.

في الصفحة ٣٢، ٣٣، ٣٤ من بعد كلمة للفوائد الجمة، ولآخر الفصل. تُوجد في هامش الكتاب على أساس أنها زيادة في الصفحة ٦٣ و ٦٤. من بعد سمعت القاضي الفاضل ولغاية وتسد الثغور موجودة في هامش الكتاب على أساس أنها زيادة، ويظل لهذه النسخة من المخطوط التي بين أيدينا والتي توليت تحقيقها مزاياها في وضوح الطباعة والعرض المختصر المفيد، إذ إن تحقيق هذا المخطوط الذي بين أيدينا قد تم باختصار مفيد على خلاف طريقة الباحثين اللذين أسهبا في التفصيلات حتى وصل المخطوط إلى (٢١١) صفحة. وفي الوقت نفسه فإنني توليت التعريف بالأعلام الموجودة في المخطوط بطريقة تفيد القارىء وأوضحت غريب المعاني.

وسيلاحظ القارىء الفرق بين المنهجين في التحقيق وليس فيه أي تعارض، وأتوقع أن لكل من الطريقتين مزاياها ومن الأمور المهمة التي أرغب بالإشارة إليها أن المحققين وبعد أن أنهيا تحقيق كتابهما وجدا أن الألمانية (ريجناهاينكه) قد نشرته في مجلة الأبحاث الصادرة في الجامعة الأمريكية في بيروت لسنة ١٩٧٢م دون أن تعلق عليه أو تضيف عليه حواشي.

ومن الأمور المهمة التي أود الإشارة إليها أيضاً أنني توليت بنفسي نسخ هذا المخطوط، ودققته مراراً ودققه من ورائي أخوة أفاضل في دار البشير في حين

أن المحققين للكتاب المشار إليه قد اعتمدا على ناسخ في (إحدى النسخ) وهي نسخة مكتب راغب باشا بتركيا، إذ نسخها الأستاذ كمال بهاء الدين للباحثين.

والخلاصة أن لكل من العملين مزاياه في نظري وإن القارىء سيحكم على ذلك.

ويشتمل الباب الخامس في ذكر كفاءتهم ونكت الفاظهم وتفوقهم
وبدائعهم فاقول

الباب الاول في اصل الوزارة واشتقاقها قال
الله تعالى في محكم كتابه حاكيا عن نبيه وكليمه موسى عليه السلام واجعل
لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى وهو اول
من سمي بهذا الاسم على ما قيل وكان ينوب عن اخيه في كثير من امور مهمات
بني اسرائيل ولذلك استخلفه عليهم حين خرج الى الميقات ولم تزل ملوك
الفرس واليونان والسند تتخذ لملكها الوزراء ولهم في ذلك اوضاع وعوائد
ولهم فيها مصطلحات بلغاتهم وفي اصل اشتقاق اسم الوزارة اقوال
احدها انه من الوزر وهو الثقل لان الوزير يحمل الثقل عن الملك الوزر له
ومنه قول الله تعالى ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من امتعتهم
وحليهم وقال تعالى حتى تضع الحرب اوزارها اي سلاحها وتقديره حتى
يضع اهل الحرب سلاحهم لان السلاح يحمله المحاربون فيثقلهم حمله قال الاعشى

واعددت للحرب اوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ومن نسج داود يحدى بها ... على اثر الحي عيرا فعيرا

وقيل انه مشتق من الاعانة لان الوزير يعين الملك على ما هو بصدده
من اعباء السياسة ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد
به ازري اي اشدد به عوني ومعونتي وقال تعالى سنشد عضدك باخيك
وقوله كزرع اخرج شطأه فآزره ومعنى شطأه صغاره التي تنبت حول اصوله
وقوله فآزره اعانه بصغاره وتراخيه وقيل هو فارسي معرب واصله في
الزور وهو عندهم اسم للشدة والقوة فاستعير وعرب والمعنى فيه انه يشد
من صاحب الدولة ويقويه ويعينه على ما هو بصدده والاظهر انه من
المساعدة والاعانة ولهذا قد روي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبد خيرا وقال بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان ذكر اعانه
وان نسي ذكره واذا اراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره [illegible]



نطلب جميع منشوراتنا من:

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

هاتف: ٨١٥١١٢ - ص. ب ٧٤٦٠

برقياً: بيوشران - الهاتف الدولي ٦٠٣٢٤٣